الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

المرجع: ..... قسم اللغة والأدب العربي

# الخطاب والخطاب المضاد في رواية إيزابيل لسليم بتقة

**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي**

**تخصص: أدب حديث ومعاصر**

**إعداد:**
- لينا ناطوري
- بثينة جخراب

**إشراف الأستاذ:**
- د. طارق بوحالة

**السنة الجامعية 2025/2024**

# شكر وتقدير

***أول شكر الله العلي القدير الذي منحنا الصحة والعزيمة لإنجاز وإتمام هذا العمل،***

***ونصلي ونسلم على الرسول الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه***

***ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين***

***نتقدم بكل معال الشكر والاعتراف والتقدير والامتنان والعرفان إلى الأستاذ المشرف***

***الدكتور "طارق بوحالة"***

***على موافقة الإشراف على هذا البحث وعلى كل ما قدمه لنا من***

***توجيهات ونصائح في كل مراحل البحث ولم يبخل علينا بوقته ومعلوماته***

***فجزاه الله خيرا وأنار دربه***

***كما نتقدم بالشكر والامتنان والتقدير لكافة أعضاء اللجنة المناقشة على تحملهم عناء القراءة***

***والتصحيح الذين نلتزم بكل توجيهاتهم وانتقاداتهم وملاحظاتهم العلمية والموضوعية. وإلى***

***كل من ساهم من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة زادت من همتنا وأمد لنا يد العون والمساعدة،***

***إلى الجميع نقول جزاكم الله خيرا على سعيكم معنا.***

# مقدمة

## مقدمة

تحاول الرواية الجزائرية منذ عقود الانفتاح على مجموعة من الأسئلة الثقافية والحضارية التي لها علاقة بمباحث التاريخ والهوية والانتماء والذاكرة والثقافة الوطنية، الأمر الذي جعل بعض الروائيين المعاصرين ينخرطون في قلب هذه الأسئلة، لاسيما تلك التي تتعلق بالشخصيات الفاعلة في تاريخ الجزائر الحديث.

وتعد رواية "إيزابيل" للكاتب الجزائري سليم بتقة ضمن هذا الأفق الجدلي. حيث يتقاطع فيها التاريخي بالمتخيل، ويتشكل الخطاب الروائي كحقل صراع بين وجهتي نظر متضادتين إحداهما تمثل الخطاب الاستعماري الفرنسي، والأخرى العكس صوت المقاومة الوطنية أو الرؤية الجزائرية الأصيلة للذات والآخر ومن خلال استدعاء شخصية "إيزابيل"، تعاد صياغة الذاكرة الجماعية في قالب روائي يتضمن مجموعة من المستويات المتعددة والتي يتداخل فيها الخطاب والخطاب المضاد، مما جعلنا نعنون بحثنا: الخطاب والخطاب المضاد في رواية إيزابيل لسليم بتقة.

وقد اخترنا هذا الموضوع لأسباب ذاتية تخص رغبتنا في البحث عن شخصيات تاريخية قلقة وعلاقتها بالجزائر، وأسباب موضوعية أهمها الاشتغال على قضايا مهمة مثل الهوية، والتاريخ والذاكرة. وكيف أعاد الخطاب الروائي تمثيلها جماليا

وتظهر رواية إيزابيل صراعًا حضاريا بين رؤية استعمارية تحاول فرض سيطرتها من خلال تشكيل صورة معينة للآخر، ورؤية محلية تحاول الدفاع عن نفسها واسترجاع صوتها. كما أن رواية إيزابيل لا تروي فقط قصة امرأة أوروبية، بل تطرح أسئلة عن الانتماء، وتُبين كيف يمكن للخيال أن يُعبر عن الحقيقة بطريقة تختلف عن الوثائق التي كتبها المستعمر. وقد جاءت إشكالية بحثنا كالآتي:

**-ما هي أبرز تمثيلات الخطاب والخطاب المضاد في رواية "إيزابيل" لسليم بتقة؟**

لتتفرع عنها مجموعة من الأسئلة منها:

1-ما مفهوم الخطاب من منظور الدراسات ما بعد الكولونيالية؟

2-كيف يعيد الكاتب تشكيل شخصية إيزابيل بين التاريخ والتخييل؟

4-ما هي أبرز صور الخطاب الاستعماري في الرواية؟

5-ما هي صور الخطاب المضاد للخطاب الاستعماري في رواية إيزابيل؟

وقد جاءت خطة بحثنا مقسمة إلى: مقدمة وفصلين تليهما خاتمة

جاء الفصل الأول بعنوان: مفاهيم نظرية، حيث عرضنا فيه ماهية الخطاب وتحولاته بشكل عام ثم خصصنا مفهومه عند ميشال فوكو وادوارد سعيد وكيف تطور عند كل منهما.

أما الفصل الثاني الموسوم ب: دراسة تطبيقية في رواية "إيزابيل"، فقد قمنا فيه بتحليل الخطابات المتضادة في الرواية، محاولين إبراز موقع إيزابيل التاريخي والتخيلي، مع عرض تمثيلها في الأدب الجزائري، وموقعها ضمن الذاكرة الثقافية وكيف يتشكل الخطاب المضاد في المشاهد اليومية. وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

ولما كان إشكالية بحثنا في صميم تحليل الخطاب ما بعد الاستعماري، فقد استثمرنا مقولات تحليل الخطاب وأدوات النقد الما بعد الاستعماري خاصة القراءة الطباقية التي تقرأ الصوت المركزي والأصوات المضادة في الوقت نفسه.

أما عن أهم المصادر والمراجع نذكر منها:

1-رواية إيزابيل لسليم بتقة

2- نظام الخطاب، ميشال فوكو

3-الاستشراق، سعيد إدوارد

4-الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير؟ بلعرج بوداود

5- أوراق بحثية في النقد والأدب، لسليم بتقة

وقد واجهتنا جملة من الصعوبات لعل أبرزها قلة المراجع حول رواية إيزابيل لسليم بتقة

ولا يسعنا إلا أن نشكر الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث، كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ "طارق بوحالة" على ما قدمه لنا من توجيه علمي ساعدنا في إعداد هذا البحث، وعلى عمله المتقن والتدقيق، كما نشكر كل من مد لنا مد العون من قريب أو من بعيد.

# الفصل الأول: مفاهيم نظرية

أولا: الخطاب المفهوم والمسار

ثانيا: الخطاب في اللسانيات

ثالثا: الخطاب في النظرية المعرفية

رابعا: تأثير الخطاب عند ميشال فوكو في كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد

## تمهيد:

في عوالم الفكر المتشابكة، يبرز "الخطاب" كأحد المفاتيح الجوهرية لفهم العلاقات العميقة التي تحكم اللغة، والسلطة، والمعرفة. إنه ليس مجرد نسق لغوي أو تعبير لفظي، بل هو منظومة فكرية تتغلغل في كل ما نقوله ونفكر فيه، وتعيد تشكيل رؤيتنا للعالم وللآخر، فالخطاب هو المرايا الخفية التي تعكس تمثلات المجتمعات، وانحيازيات السلطة، وتوترات الهوية. ومن هذا المنطلق، فإن الوقوف على المفاهيم النظرية المرتبطة به لا يُعد ترفاً معرفياً، بل ضرورة لفك شفرات الوعي الإنساني، واستيعاب البنية الرمزية التي تُدير صراعات المعنى والتأويل.

## أولا: الخطاب المفهوم والمسار

### مفهوم الخطاب:

يعرف مفهوم الخطاب مجموعة من التعريفات، حيث تناوله العديد من العلماء والباحثين من زوايا مختلفة وذلك نظراً لأهميته في الدراسات اللغوية والفكرية. وسنحاول تعريفها لغويا في السياق العربي.

**أ. لغة:**

**"جاء في معجم "لسان العرب" أن الخطاب يعود إلى مفهوم الشأن أو الأمر، سواء كان صغيرًا أو عظيمًا كما يُعرف بأنه سبب الأمر. فعلى سبيل المثال، يقال "ما خطبك؟" أي "ما أمرك؟"، ويقال أيضًا "هذا خطب جليل" أي أمر ذو شأن عظيم. كما يُشير إلى المخاطبة والمراجعة الكلامية، فيقال: "خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا"[1]**؛ مما يدل على أن الخطاب هو تبادل الحديث بين الأطراف المختلفة، هذا التعريف يوحي بأن الخطاب يتمحور حول الأمر والشأن والحالة التي تُنشئ التواصل بين الأفراد، وهو بذلك يعكس طبيعة المخاطبة والمراجعة الكلامية.

في ضوء ما جاء في "لسان العرب"، يمكن القول ان مفهوم الخطاب يتجاوز مجرد كونه وسيلة للتخاطب أو تبادل الكلام، ليحمل في عمقه دلالة وجودية مرتبطة بالحال والهمّ والشأن. حين نسأل "ما خطبك؟"، نحن لا نطلب كلمات، بل نطلب كشفًا عن جوهر الحالة، عما يعتمل في الداخل، وهنا تتجلى طبيعة الخطاب كفعل يكشف ما وراء الصمت، ويحوّل التجربة إلى معنى.

الخطاب، إذًا، ليس فقط أداة لغوية، بل هو حدث إنساني يُترجم به الناس قلقهم، فرحهم، سلطتهم، واحتجاجهم. هو حركة بين الذات والآخر، بين الداخل والخارج، يمر عبر اللغة لكنه لا ينحصر فيها. فحين يقول المعجم إن الخطاب هو "خطب جليل"، فإنه يشير إلى أن بعض الخطابات تهزّ الوجدان وتُحدث الأثر أي أن الخطاب لا يُقال فقط، بل يُشعَر به ويُعاش.

[1]. محمد بن مكرم بن على بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، م5، ص 97-98.

من هذا المنظور، يبدو الخطاب أقرب إلى نبض الحالة الإنسانية، يتشكل كلما كانت هناك حاجة للتفسير أو التبرير أو التواصل أو حتى المقاومة. وهذا ما يجعل الخطاب ليس فقط موضوع دراسة لسانية أو فلسفية، بل تجربة حيّة تتجدد بتجدد أحوال الإنسان.

**ب. اصطلاحا:**

يرتبط مفهوم الخطاب عند العرب بمفهوم التخاطب الذي يعرف أيضا بأنه "**مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان**"[1]؛ ونفهم من كلامه أن الخطاب حوار متبادل بين شخصين علـى الأقل فهو عملية تلفظية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام وبغير الكلام.

نستنتج أن الخطاب هو بمثابة حوار متبادل بين شخصين على الأقل، وهو عملية لغوية تحدث ضمن إطار زماني ومكاني محددين، ويُمارَس من خلال الكلام وأحيانًا بوسائل أخرى غير لفظية. وعليه، فالخطاب ليس مجرد مجموعة من الكلمات، بل هو تفاعل بين طرفين أو أكثر يتم في بيئة معينة، وله غرض محدد.

كما أن الخطاب هو إنجاز لغوي في فضاء معين، يتطلب لتحقيقه عناصر أساسية مثل المُرسِل والمُستقبِل، ونص الخطاب نفسه. كما يُنظر إليه لغويًا على أنه ملفوظ يتجاوز الجملة من حيث الحجم، لكنه أقل من النص، بمعنى أنه مجموعة مترابطة من الجمل تؤدي وظيفة معينة.

يرى أحمد المتوكل أن هذا المصطلح لم يحظَ حتى الآن بتعريف دقيق وواضح، حيث يُخلَط أحيانًا بينه وبين مفهوم النص. ويعبر عن ذلك بقوله: " **لم يحظ مفهوم الخطاب حتى الآن، على الرغم من كثرة استعماله بتعريف شامل ودقيق، حيث يتم استخدامه بشكل مضطرب مع مصطلح النص**"[2]؛ وهذا الخلط بين المفهومين شائع بين الباحثين، حتى أن البعض يستعملهما وكأنهما مترادفان، رغم وجود فروق جوهرية بينهما.

[1]. خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص 178.
[2]. أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دارالأمان، الرباط، ط1، 2013، ص 22.

أما عن تعريف أحمد المتوكل للخطاب، فيراه على أنه "**كل ملفوظ مكتوب أو منطوق يشكل وحدة تواصلية تامة**"[1]؛ وبذلك يركز على أن الخطاب هو أداة للتواصل، سواء كان شفهياً أو كتابياً، ولا يتحقق هذا التواصل إلا بوجود طرفين على الأقل، وهو ما يتفق مع العديد من التعريفات الأخرى.

وبناءً على ما سبق، فإن الخطاب هو عملية تواصلية تتطلب وجود طرفين على الأقل في سياق زماني ومكاني محدد، يتم فيها تبادل الأفكار والمعلومات إما بالكلام أو بالكتابة. وهو أكثر اتساعًا من الجملة لكنه أقل من النص، حيث يتكون من مجموعة من الجمل المرتبطة التي تشكل وحدة تواصلية متكاملة. كما أن الخطاب يتأثر بالسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تحدد طريقة إنتاجه وتلقيه.

## 2. الخطاب في القرآن الكريم

لقد ورد مصطلح "الخطاب" في مواضع متعددة من القرآن الكريم، مما يدل على أهميته ودلالاته المختلفة في السياقات القرآنية. ومن بين هذه المواضع:

- قوله تعالى" :**وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ**"(المؤمنون: 27)، حيث تشير الآية إلى النهي عن المخاطبة في أمر الظالمين الذين استحقوا العقاب[2].
- قوله عز وجل" :**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**"(الفرقان: 63)، مما يبين أن الخطاب قد يكون في سياق الرد بالحكمة والهدوء على الجاهلين [3].
- قوله تعالى في سورة النبأ" :**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**"(الآية 37)، وهو إشارة إلى عظمة الله واستحالة أن يملك أحد سلطة الخطاب أمامه يوم القيامة [4].

---

[1]. أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص22.
[2]. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق جماعي، المركز الثقافي اللبناني، بيروت، د ط، م8، ص61.
[3]. المرجع نفسه، ص173.
[4]. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق جماعي، المركز الثقافي اللبناني، بيروت، د ط، م12، ص68.

وبهذا، يتضح أن مصطلح "الخطاب" في القرآن الكريم يأتي في سياقات مختلفة، تحمل معاني متعددة تتراوح بين الأمر والنهي، وبين التواصل الحكيم والموقف الرسمي أمام الله تعالى. فهو يشير إلى الحديث أو المخاطبة التي توجه إلى شخص أو جماعة في سياق معين، وقد يأتي بمعنى الحوار، والأمر، والنهي أو البيان.

## ثانيا: الخطاب في اللسانيات

### 1. المفهوم اللساني للخطاب

يمكننا التطرق إلى مفهوم الخطاب بشكل عام، حيث يتمثل في التواصل بين المتكلمين الذين قد يعتمدون على وسائط متعددة لتحقيق التفاهم، سواء كانت هذه الوسائط شفهية، مكتوبة، مرئية حركية، لمسية أو شمية. تتعدد طرق التواصل التي يستخدمها الإنسان في حياته اليومية لتحقيق أهدافه المعرفية. ومع تطور وسائل الاتصال وتنوعها، "**تنوعت أيضاً مفاهيم الخطاب في اللسانيات. ولهذا، من المهم البدء في مناقشة هذه المفاهيم من خلال تعريف رومان جاكبسون، الذي يرى أن الخطاب يشمل مفهوم الرسالة. وبناءً على هذا، فإن الحديث عن عناصر العملية التخاطبية التي أشار إليها هذا العالم اللساني يعد أمراً ضرورياً لفهم الخطاب بشكل شامل**"[1]؛ ففي عالم اللسانيات، يظهر الخطاب ليس فقط كعملية تبادل كلمات، بل كشبكة معقدة من وسائل الاتصال التي تتعدى الكلام أو الكتابة إلى إشارات وحركات ورموز أخرى تُستخدم لفهم بعضنا البعض. إن التنوع الكبير في الوسائط التي نعتمدها يبرز مدى ثراء التواصل الإنساني وتعدد أبعاده، حيث يصبح الخطاب أفقًا واسعًا يضم كل ما يساهم في إيصال المعنى وتحقيق الفهم.

يعد رومان جاكبسون، من أبرز العلماء الذين ساهموا في توسيع هذا المفهوم، إذ لم يقتصر على النظر إلى الخطاب كرسالة فقط، بل قدم رؤية متكاملة للعملية التخاطبية بكل عناصرها، من المرسل والمستقبل والرسالة والسياق والرموز والقناة. هذا التناول الشامل يفتح أمامنا آفاقًا جديدة لفهم الخطاب ليس كظاهرة لغوية جامدة، بل كفاعل حيّ يتفاعل مع البيئة والسياق الاجتماعي

[1]. وردة معلم: محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، كلية الأدب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2016، ص 11.

والثقافي. لذا، فدراسة الخطاب من خلال هذه العدسة اللسانية تساعدنا على إدراك كيف يبني الإنسان المعنى ويتواصل في بيئته المتغيرة باستمرار.

## 2- عناصر العملية التخاطبية عند رومان جاكبسون

**أ. المرسل:**

يعتبر المرسل الركن الأساسي في العملية التواصلية اللفظية وغير اللفظية، فهو منشئ الرسالة أو الخطاب الذي يوجهه إلى المخاطب أو المرسل إليه، وقد أطلقت عدة تسميات على المرسل فهو: الباث والمخاطب والناقل والمتحدث والمرسل.

المرسل مهم جدا في العملية التخاطبية، إذ يستحيل لأي وضع تخاطبي أن يستغني عنه، وله وضعيات مختلفة تمليها عليه طبيعة خطابه أو نوعه فالخطاب السياسي لغته وتقنياته كونه موجهاً إلى كل الناس، ولا يتحتم فيه على رجل السياسة أن يوظف كل الأنظمة اللسانية، كما أن للخطاب العادي لغته أيضا؛ فهو بسيط في سننه (لغته)، وفي قيمته الإخبارية؛ لأنه لصيق بالواقع أو بقضايا الحياة اليومية. بينما يمتاز الخطاب الأدبي من غيره، وبخاصة الشعري منه، من حيث لغته وتقنياته، فهو يتعالى على لغة الخطاب اليومي، وينفلت أو يتملص من عالم الواقع. وهناك شروط لا بد أن تتوفر في مرسل الخطاب، ومنها:

- أن يتمتع بالقدرتين المستقبلة والمنسقة للقيام بعملية الترميز وتفكيك الرمز، وذلك بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي ينتمي إليه مع مستقبل الرسالة.
- أن يتمتع بلياقة كافية على المستوى الفيزيولوجي؛ لأن الرسالة تتطلب قدرة على بثها، وقدرة على مستوى الصوت والكتابة معاً[1]؛ هذا يعني أن المرسل هو من ينشئ الرسالة ويوجهها، ويختلف أسلوبه حسب نوع الخطاب (سياسي، عادي، أدبي) ويجب أن يمتلك كفاءة لغوية وجسدية ليُوصل الرسالة بوضوح وفعالية.

[1]. ينظر: وردة معلم: محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، كلية الأدب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2016، ص12.

**ب. الرسالة :**

تُعتبر الرسالة جوهر العملية التخاطبية، "**فهي الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صورة سمعية لما يكون التخاطب شفهيًا، وتبدو علامات خطية عندها تكون الرسالة مكتوبة**"[1]؛ هذا يدل على أنها الحامل الحقيقي للمعنى والمضمون الذي يسعى المرسل إلى نقله وإيصاله إلى المتلقي. وتحمل الرسالة في طياتها جوهر الفكرة، وتتنوع أشكالها باختلاف السياق والوسيلة، فقد تتجلى في كلمات منطوقة، أو نصوص مكتوبة، أو حتى إشارات وصور تنبض بالدلالات، فتتحول إلى جسر يربط بين العقول والقلوب، ويُحيي فعل التواصل في أبهى صوره

كما وردت في قاموس اللسانيات على أنها: "**وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات محدودة (مضبوطة) يبعثها جهاز البثّ (الإرسال) إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال**"[2]؛ أي أن الخطاب هو مجموعة من الإشارات أو الكلمات المرتبة حسب قواعد معينة، يرسلها المتكلم أو الكاتب إلى المتلقي من خلال وسيلة مادية مثل الصوت أو الكتابة. فالخطاب ليس مجرد كلمات عشوائية، بل هو منظّم ويُوجّه من شخص إلى آخر بهدف التواصل ومن امثلتها:

- شفوية (تكون في صورة أصوات).
- مكتوبة (تتمثل في الرموز الكتابية أو الأحرف والعلامات الخطية).
- إشارية (مثل لغة الصم والبكم، إشارات المرور، والإشارات العسكرية).
- إيمائية (مثل الحركات والإيماءات باليد أو العينين).
- شمية (الروائح بأنواعها) [3]؛ هذا يعني أن الرسالة ليست بالضرورة أن تكون لفظية فقط، بل يمكن أن تأخذ أشكالاً متعددة وفقاً للسياق ووسيلة التواصل المستخدمة. فقد تكون الرسالة

[1]. الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة الجزائر، ط1، 2007، ص 24.
[2]. المرجع نفسه، ص 24.
[3]. المرجع نفسه، ص 25.

شفوية، أي تعتمد على الأصوات والكلمات المنطوقة، وهي الأكثر شيوعاً في التواصل اليومي، مثل المحادثات والخطب. أما إذا كانت مكتوبة فهي تتمثل في الرموز الكتابية كالنصوص والرسائل الإلكترونية والمقالات، والتي تتيح الاحتفاظ بالمعلومات واسترجاعها في أي وقت.

هناك أيضاً الرسائل الإشارية، والتي تعتمد على الرموز البصرية مثل لغة الصم والبكم، وإشارات المرور التي تنظم حركة السير، والإشارات العسكرية التي تُستخدم للتواصل في بيئات يصعب فيها استخدام الصوت. إضافة إلى ذلك، نجد الرسائل الإيمائية التي تتجسد في الحركات والإيماءات مثل تعبيرات الوجه، وحركة اليدين أو العينين، والتي تُستخدم بشكل كبير في التعبير عن المشاعر والنوايا دون الحاجة إلى كلمات.

مما سبق، يمكن استنتاج أن الرسالة ليست مجرد كلمات تُقال أو تُكتب، بل هي مفهوم واسع يشمل كل الوسائل التي يمكن من خلالها نقل المعلومات بين الأفراد. كما أن طريقة إرسال الرسالة تتأثر بالسياق والهدف منها، مما يجعل من الضروري اختيار الشكل المناسب لها لضمان وصولها بوضوح إلى المستقبل.

**ج. السنن:**

من أبرز التعريفات التي توضح طبيعة السنن وتبرز دوره في العملية التواصلية هو أنها: **"تمثل القانون المنظم للقيم الإخبارية والهرم التسلسلي الذي ينتظمُ عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه كلُ نمط تركيبي فمنه ينطلق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة حيث يعمل على الترميز،"Codage"، وإليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما فيفكك رموزها بحثًا عن القيمة الإخبارية التي شُحنَت بها "Décodage"**[1]؛ اذن السنن تمثل القاعدة المشتركة التي تنظّم عملية تبادل الخطاب بين المرسل والمتلقي، إذ ينطلق المرسل من هذا السنن لترميز رسالته، ويعتمد عليه المتلقي لفك رموزها واستخلاص القيمة الإخبارية منها، مما يجعل كل نمط تركيبي خاضعًا لمنطق مشترك يحكم العملية التواصلية.

[1]. الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، ص 25-28.

أطلق علية الدارسون مصطلحات كثيرة فهو **اللغة عند دي سوسير**، و**النظام عند ليوي هيلمسليف** و**القدرة عند نوام تشومسكي**، ويتمثل السنن في النظام اللغوي المشترك بين المرسل والمرسل إليه، إذ لا بد أن يكون مشتركا حتى تتم عملية التواصل أو التخاطب، وحتى تحصل القيمة الإخبارية له فنجاح العملية التواصلية متوقف على هذا النظام المشترك الذي تتفق حوله الجماعات البشرية فلكل جماعة بشرية نظام لغوي خاص بها والأكثر من هذا أن داخل هذا النظام المشترك أنظمة لغوية فرعية (لغة الخطاب عند فئة معينة كالأساتذة والطلبة، والفلاحين، والعمال، والتجار) فلكل جماعة لها قاموسها اللغوي الخاص بها[1]؛ هذا يعني أن النظام هو ترسانة فكرية يعود إليها الفرد قصد التواصل مع الغير، أو عند الحاجة إلى التخاطب اللفظي.

**د. السياق:**

هو المرجع فلكل رسالة مرجع خاص بها، وهو الموقف الذي قيلت فيه الرسالة، وهو المنتج الفعلي لها وقد قسمه رومان جاكبسون إلى قسمين:

سياق لفظي: كأن يطلب منا التكلم الفعلي لغاية ما. وسياق غير لفظي: ويتمثل في المحيط الذي تولد فيه الرسالة، ويتضمن الموقع (الإطار الزماني والمكاني) أي خطاب هو وليد لحظة زمنية معينة، ومطابق لحيز مكاني معين. كما يتضمن الهدف، إذ لكل رسالة أو خطاب هدف وغاية، والهدف الأسمى هو تحقيق التواصل (يمكن أن نتكلم لأجل الكلام، أي ضمان صيانة الوشيجة الاجتماعية) كما يدخل في السياق المشاركون في العملية التواصلية، وتتوضح الرسالة أو سياقها أكثر فأكثر من خلال ميزات المشاركين في العملية التخاطبية، أي صفاتهم وأجناسهم وأعمارهم، ومستوياتهم الثقافية، ومهنهم، وحالاتهم الاجتماعية وعلاقاتهم[2].

اذن السياق هو ذلك الأفق الذي يُحيط بكل خطاب، وهو ليس مجرد خلفية جامدة بل هو النبض الحي الذي يولد فيه الكلام ويتنفس من خلاله، بدون فهم هذا الإطار، تبقى الرسالة مجرد كلمات عائمة بلا جذور فلا يمكننا أن ندرك عمقها أو مقصدها الحقيقي. رومان جاكبسون بذكائه، قدّم لنا تقسيمًا دقيقًا للسياق بين اللفظي وغير اللفظي، حيث يعكس الأول الكلمات والعبارات

[1]. ينظر: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، ص 25-28.
[2]. المرجع نفسه، ص 28.

المباشرة، بينما يحتضن الثاني البيئة الحية التي تُولد فيها الرسالة، من زمان ومكان وحالة نفسية واجتماعية، كلها عوامل تساهم في تشكيل المعنى وفتح آفاق التفسير.

**ج. القناة:**

تُعدّ القناة من العناصر الأساسية في عملية التواصل، إذ تشير إلى الوسيط الفيزيولوجي أو التقني الذي تنتقل عبره الرسالة من المرسل إلى المتلقي، وقد ورد في قاموس اللسانيات أن الرسالة **"تتطلب اتصالاً أي قناة فيزيائية، وتواصل فيزيولوجي بين المرسل والمرسل إليه يسمح لهما بإقامة اتصال والحفاظ عليه"**[1]؛ مما يعني أن القناة تُمثّل الجسر الذي يضمن استمرارية الفعل التواصلي. وتكتسي هذه القناة أهمية بالغة، خاصة من جهة الطاقة التي يبذلها الطرفان في استخدامها وتوظيفها بطريقة تضمن سلامة وصول الرسالة. ولهذا، غالباً ما يتم تمرير أنماط تعبيرية معينة عبر القناة، لا بهدف إضافة معنى جديد، بل بغرض التأكد من أن الرسالة قد وصلت بشكل صحيح إلى جهاز الاستقبال. وتُظهر هذه الوظيفة الحيوية أن القناة ليست مجرد عنصر شكلي، بل عنصر جوهري لا يمكن الاستغناء عنه في التواصل، لا سيما اللفظي منه.

يتسع مفهوم الخطاب في اللسانيات ليصبح فضاءً رحبًا يضم كل أشكال التواصل بين البشر سواء عبر الكلمات المنطوقة أو النصوص المكتوبة، أو عبر الصور والحركات التي تعبّر بلا صوت، بل وتمتد لتشمل الأصوات والإيماءات التي تعبر عن مشاعر وأفكار. فالخطاب، كما عرفه رومان جاكبسون، ليس مجرد تبادل كلمات وجمل، بل هو كيان متكامل يشمل الرسالة وكل مكونات العملية التواصلية، وهو الوسيلة التي ينتقل بها المعنى من المرسل إلى المتلقي عبر مختلف الوسائط.

ويمكننا أن نرى الخطاب كحركة حية، تتفاعل فيها قنوات الاتصال المتنوعة مع المرسل الذي يصوغ الرسالة، والمتلقي الذي يستقبلها ويفكك رموزها، في عملية تفاعل تشترك فيها لغة مشتركة تسمح بفهم وإدراك المقاصد. فالتواصل ليس مجرد كلمات تُقال أو تُكتب، بل هو شبكة معقدة من الإشارات والعلاقات التي تنبض بالحياة في كل لحظة تواصل.

[1]. الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، ص 33.

أما السياق، فهو الإطار الذي ينحت الخطاب ويحيطه، حيث يحدد الظروف التي يقال فيها، والبيئة التي تنشأ فيها الرسالة، مما يجعله عنصرًا لا غنى عنه لفهم الخطاب بعمق. فالخطاب هنا يتجاوز كونه مجرد كلمات منفصلة ليصبح كيانًا ديناميكيًا ينبض بتفاعل عناصر متعددة تعمل بتناغم لتحقيق الفهم المشترك بين الأطراف.

من هذا المنطلق، يتجلى الخطاب في اللسانيات كمفهوم معقد ومتداخل، يتخطى حدود التفاعل اللفظي أو الكتابي البسيط، ليشمل كافة أبعاد التواصل التي تسهم في تشكيل المعنى وتحديد الإطار الذي تتحرك داخله الرسالة.

## ثالثا: الخطاب في النظرية المعرفية

في النظرية المعرفية، يُنظر إلى الخطاب كأداة مركزية تشكّل وتؤثر في المعرفة والسلطة حيث لا يقتصر على كونه وسيلة للتواصل فقط، بل يمتد ليكون منظومة تخلق الواقع وتحدد المفاهيم والأفكار داخل المجتمع ويأتي ميشال فوكو ليُعمق هذا المفهوم، معتبرا أن الخطاب هو القوة التي تبني المعرفة وتُحدد أنظمة الحقيقة مما يجعله عنصراً أساسيا لفهم كيفية تشكل السلطة عير اللغة والكلام.

### 1. الخطاب عند ميشال فوكو:

يتخذ مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو نسقا مركزيا بنى عليه مشروعه الفكري، فالحديث عن الخطاب يفرض حضور مفهوم جوهري في فكر فوكو ألا وهو السلطة، الحقيقة، المغيّب، الإرادة، النسق.

إنها إذن كلمات مفتاحية في فكر فوكو تكشف كيفية نظرته للخطاب التي اتسمت عنده بطابعها البنيوي التي تروم العثور على النظام أو النظام داخل الفوضى والاعتباطية في المجتمع واللغة والنصوص.

وعلى هذا المقتضى فإن ميشال فوكو حاول أن يصف البناءات المنغلقة التي اتخذها العقل خلال الفترة الحديثة من الثقافة الغربية ولقد عمل على فضح هذه البنى من خلال دراسته للخطاب إذ يؤكد فوكو قائلا: "**أن الخطاب بالذات، هو الشيء الذي نضعه في مركز التأمل... فلم يعد**

**الخطاب سوى انعكاسا لحقيقة هي في طور النشوء تحت ناظريه، وعندما يمكن لكل شيء أن يؤخذ صورة الخطاب، وعندما يمكن لكل شيء أن يقال ويمكن للخطاب أن يقال بصدد كل شيء ،فذلك لأن كل الأشياء التي أظهرت معناها وبادلته تستطيع أن تدخل إلى الباطن الصامت للوعي بالذات"**[1]؛ حيث يؤكد ميشال فوكو أن السلطة والمعرفة مترابطتان ارتباطًا وثيقًا، فلا يمكن أن توجد معرفة دون سلطة، ولا سلطة دون معرفة. فالسلطة لا تقتصر فقط على الحكومات أو المؤسسات الكبرى، بل تتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية من خلال أنظمة تتحكم في السلوك، مثل المدارس المستشفيات، والسجون، مما يجعلها أكثر انتشارًا مما نتصور.

**أ. السلطة كشبكة علاقات وليست مجرد أداة قمع:**

عكس التصور التقليدي الذي يرى السلطة كأداة قمع تستخدمها الدولة أو المؤسسات الأمنية مثل الجيش والشرطة، يرى فوكو أن السلطة موجودة في كل مكان، وتتجسد في شبكة من العلاقات الاجتماعية، تمتد من الأسرة، إلى المدرسة، إلى المؤسسات الطبية والقانونية، مما يجعلها جزءًا من الحياة اليومية وليس مجرد قوة فوقية مفروضة من الأعلى

**ب. السلطة ليست ملكًا لأحد**

وفقًا لفوكو، لا يمكن لأي شخص أو مؤسسة امتلاك السلطة بشكل مطلق، بل هي **موزعة بين الجميع** من خلال العلاقات الاجتماعية، وتظهر في كل تفاعل اجتماعي، حيث تؤثر على القيم، السلوكيات، والأفكار التي يعتنقها الأفراد والمجتمعات.

**ج. السلطة ليست فقط قمعية، بل أيضًا منتجة**

لا يرى فوكو السلطة كأداة تمنع الأفراد من القيام بأشياء معينة فقط، بل يرى أنها **منتجة للمعرفة**، حيث تشكل الأفكار والمفاهيم الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، النظام التعليمي لا يحدد فقط ما يجب تعلّمه، ولكنه أيضًا يحدد من هو "الناجح" ومن هو "الفاشل"، أي أنه ينتج تصنيفات معينة للأفراد والمجتمع[2].

---

[1]. ميشال فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، د ط، ص 26.

[2] . ينظر: سياسور- ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة، تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية، موسوعة أعلام فلسفة سياسية، 2024، متاح على رابط ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة – تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية - سياسور- تم الاطلاع عليها يوم 15-02-2025- على ساعة 10:35

**د. ترابط السلطة والمعرفة**

يرى فوكو أن المعرفة ليست مستقلة أو محايدة، بل هي نتاج لعلاقات السلطة، وهي معرفة تُنتج داخل سياقات اجتماعية محددة، وهي دائمًا مرتبطة بمن يملك القوة لتحديد ما يعتبر صحيحًا أو مقبولًا. على سبيل المثال، في المجال الطبي، من يحدد من هو المريض ومن هو السليم؟ هذه القرارات لا تعتمد فقط على العلم بل أيضًا على معايير اجتماعية وسلطوية[1].

**س. السلطة–المعرفة(Pouvoir–Savoir)**

يؤكد فوكو أن كل ممارسة للسلطة تتطلب إنتاج معرفة، وكل معرفة جديدة يتم إنتاجها تعزز ممارسة السلطة. بمعنى آخر، المؤسسات العلمية والطبية والقانونية لا تكتفي بنشر المعرفة فقط، بل تمارس أيضًا نوعًا من السلطة على الأفراد عبر تصنيفهم، ضبط سلوكهم، وتحديد ما هو "طبيعي" وما هو "غير طبيعي."

**ش. الخطاب كأداة للسلطة والمعرفة**

يرى فوكو أن الخطاب ليس مجرد كلمات أو معلومات، بل هو نظام معرفي يحدد كيف نفكر في الأشياء وما يُعتبر حقيقة وما لا يُعتبر كذلك. الخطابات الرسمية، مثل الخطاب العلمي، القانوني، أو الديني، تحدد ما هو مسموح وما هو محظور، ومن يملك الحق في الكلام ومن يتم إسكاته[2].

**هـ. ضبط الخطاب كأداة للتحكم**

تمارس "**السلطة أيضًا التحكم في الخطاب، أي من خلال تحديد من يستطيع التحدث وما الذي يُسمح له بقوله. فمثلاً، في المدرسة، المعلم يملك الحق في الكلام بينما التلميذ يجب أن يستمع، وفي السياسة المسؤولون يملكون المنصات الإعلامية بينما يتم تهميش أصوات المعارضة**[3]؛ حيث يغير فوكو نظرتنا للسلطة، حيث لا يراها مجرد أداة قمعية، بل نظامًا معقدًا من

---

[1]. ينظر: سياسور، ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة، تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية، موسوعة أعلام فلسفة سياسية، 2024، متاح على رابط ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة – تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية - سياسور- تم الاطلاع عليها يوم 15-02-2025- على الساعة 10:35

[2]. المرجع نفسه.

[3]. Ali Alnahhabi– 2023- الكلمات والأشياء: القطائع المعرفية عند ميشيل فوكو: تقديم: علي النهائي- -https://youtu.be/0ciBgUDb2kk?si=UnbqIOG15BBevv4O

العلاقات التي تنتج المعرفة وتُشكل الأفراد والمجتمع. هذه الفكرة تساعدنا في فهم كيف تتجسد السلطة في حياتنا اليومية، ليس فقط عبر القوانين أو السياسات، ولكن أيضًا عبر أنظمة التعليم، الإعلام، والمؤسسات الصحية، التي تساهم في تشكيل تصوراتنا عن العالم.

**و. إنتاج المعرفة والخطاب**

يوضح فوكو أن إنتاج الخطاب والمعرفة ليس عملية عفوية أو طبيعية، بل هو عملية موجهة ومنظمة بواسطة السلطة. الخطابات التي تنتج المعرفة حول موضوع معين (مثل الصحة، التعليم، أو السياسة) تحدد ما هو مقبول كحقيقة وما هو غير مقبول.

- **السلطة والعلوم الإنسانية:** من خلال تحليله للعلوم الإنسانية مثل علم النفس، الطب، وعلم الاجتماع، يرى فوكو أن هذه المجالات ليست محايدة تمامًا، بل تُساهم في إنتاج خطابات تخدم مصالح معينة. على سبيل المثال، الخطاب العلمي حول الجنون في العصر الحديث لم يكن مجرد وصف للحالات المرضية، بل كان أداة تستخدمها السلطة لتحديد المجانين وإدخالهم في نظام علاجي معين[1]

**ي. الخطاب والمقاومة**

يُستخدم الخطاب كأداة للسيطرة، وعلى الرغم من ذلك فإن فوكو يرى أن هناك أيضًا إمكانية للمقاومة من خلال الخطاب بعض الخطابات المعارضة التي تسعى إلى تحدي الخطابات السائدة وكسر الهيمنة التي تفرضها السلطة.

- **"الخطاب كمجال للصراع:** يرى فوكو أن الخطابات ليست ثابتة، بل هي مجال دائم للصراع بين القوى المختلفة. هناك دائمًا خطابات مضادة تسعى لتحدي النظام القائم وتقديم رؤى جديدة حول الواقع. هذه الخطابات المقاومة قد تكون أدبية، سياسية، فلسفية، أو حتى علمية[2].

[1] ينظر: سياسور، ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة، تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية، موسوعة أعلام فلسفة سياسية، 2024، متاح على رابط ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة – تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية - سياسور- تم الاطلاع عليها يوم 15-02-2025- على الساعة 10:35.

[2]. المرجع نفسه.

- **إمكانية التغيير** :يمكن للخطاب أن يكون وسيلة لتحدي السلطة وتغيير الواقع الاجتماعي، من خلال تغيير الخطابات المسيطرة حول مواضيع معينة، يمكن للأفراد أو الحركات الاجتماعية إعادة تعريف الواقع الاجتماعي وإحداث تغييرات جوهرية[1].

نستنتج من تحليل فوكو لإنتاج المعرفة والخطاب أن المعرفة ليست مجرد انعكاس موضوعي للواقع، بل هي نتاج لعمليات منظمة وموجهة بالسلطة، فالخطابات التي تحدد ما نعرفه عن مواضيع مثل الصحة، التعليم والسياسة ليست محايدة، بل تُنتج ضمن سياقات تخدم مصالح معينة. وبالتالي، ما يُعتبر "حقيقة" ليس دائمًا موضوعيًا، بل هو نتيجة لتفاعل قوى السلطة التي تحدد ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله.

حيث أن فوكو يرى أن العلوم الإنسانية، مثل الطب، علم النفس، وعلم الاجتماع، ليست فقط أدوات لاكتشاف المعرفة، بل تلعب أيضًا دورًا في إنتاج تصنيفات اجتماعية تخدم أنظمة السلطة كما أن الخطاب يُستخدم كوسيلة للسيطرة والتحكم في المجتمع، فإنه يمكن أن يكون أيضًا أداة للمقاومة والتغيير، فهناك دائمًا خطابات مضادة تحاول كسر الهيمنة المفروضة وإعادة تعريف الواقع. على سبيل المثال، الحركات الاجتماعية والفكرية التي تنتقد الأنظمة القائمة وتقدم رؤى بديلة تخلق نوعًا من الصراع الخطابي بين القوى التقليدية والمناهضة لها.

كما ان الخطاب ليس شيئًا ثابتًا، بل هو مجال للصراع الدائم بين القوى المختلفة، فكل سلطة تحاول فرض خطابها، ولكن دائمًا ما توجد خطابات بديلة تحاول مقاومة هذا التوجه. هذا يعني أن التغيير ممكن، وليس بالضرورة أن تكون السلطة قادرة على التحكم المطلق في الخطاب والمعرفة. عندما تتغير الخطابات المسيطرة حول موضوع معين (مثل حقوق المرأة، المثلية، أو الحريات الفردية)، فإن ذلك يؤدي إلى تحولات اجتماعية جوهرية، مما يعني أن الخطاب ليس مجرد كلمات، بل هو قوة قادرة على إعادة تشكيل المجتمع.

[1]. ينظر: سياسور، ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة، تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية، موسوعة أعلام فلسفة سياسية، 2024، متاح على رابط ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة – تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية - سياسور- تم الاطلاع عليها يوم 15-02-2025- على الساعة 10:35.

باختصار يمكننا استنتاج أن المعرفة والخطاب ليسا محايدين أو طبيعيين، بل هما أدوات يتم التحكم فيهما من قبل السلطة، لكنه ليس تحكمًا مطلقًا، فهناك دائمًا إمكانية للمقاومة والتغيير. الخطاب هو ساحة معركة فكرية، حيث تسعى بعض الخطابات إلى فرض سلطتها، بينما تحاول خطابات أخرى تفكيك هذه السلطة وإعادة تعريف الحقيقة والواقع الاجتماعي.

## رابعا: الخطاب في الدراسات ما بعد الكولونيالية

في الدراسات ما بعد الكولونيالية، يُعتبر الخطاب أداة حيوية لفهم علاقات القوة والمعرفة التي تتجسد في النصوص والأفكار، إذ يكشف الخطاب كيف تُبنى الهوية والثقافة ضمن سياقات تاريخية وسياسية تهيمن عليها علاقات الاستعمار والهيمنة.

يأتي إدوارد سعيد ليؤكد دور الخطاب في تشكيل صورة الشرق من خلال كتابه "الاستشراق" مستفيدًا من تحليل ميشال فوكو الذي يربط بين الخطاب والسلطة، ليبرز كيف يُستخدم الخطاب كآلية للتحكم وتبرير الهيمنة الاستعمارية.

### 1- الخطاب عند ادوارد سعيد

يرى "إدوارد سعيد" أن مصطلح "الاستشراق" ينطوي على معانٍ متعدّدة ومترابطة، تتداخل فيما بينها وتكوّن مفهوماً مركّباً، أولها ما يفيد بأن الاستشراق يشكّل "**مبحث أكاديمي، بل إن هذا المفهوم لا يزال مستخدما في عدد من المؤسسات الأكاديمية، فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة**"[1]؛ أي أنه مجال معرفي يتم تدريسه وتداوله داخل المؤسّسات الأكاديمية، ويخضع لآليات البحث العلمي والنقاش الجامعي المنهجي. غير أن هذا الفهم لا يستنفد كل أبعاد الاستشراق، إذ إن "سعيد" يوسّع الإطار ليقدّم معنى ثانٍ، يتمثّل في "وصفه للاستشراق باعتباره

[1] . سعيد، إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص44.

وأيضا يتابع "إدوارد سعيد" توسيع نطاق المعنى ليبلغ مستوى أكثر عمومية وشمولاً، حيث يضيف معنى ثاني الاستشراق بأنه " **أسلوب للتفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يُسمّى بالشرق وبين ما يُسمّى –غالباً– بالغرب وهكذا فإن عددا بالغ الكثرة من الكتاب و الشعراء و الروائيين والفلاسفة(...) قد قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب، باعتباره نقطة انطلاق لوضع نظريات مفصلة وإنشاء ملاحم، وكتابة روايات ، وأوصاف اجتماعية ودراسات سياسية عن الشرق، وعن أهله وعاداته وعن "عقله" ومصيره"**[1]؛ في هذا السياق، يشير إلى أن عدداً من الأدباء والفلاسفة والمفكرين السياسيين –كالشعراء والروائيين، وأصحاب النظريات السياسية– تبنّوا هذا التمييز بين الشرق والغرب كمنطلق لصياغة نظرياتهم وتأليف رواياتهم وإنشاء دراساتهم السياسية حول الشرق. ومن بين هؤلاء: (ألفونس دو لامارتين Alphonse de Lamartine 1790– 1869( وجيرار دو نرفالGérard de Nerval) ، 1808–1855( وفلوبيرFlaubert) . هذا يعني أنه استعان بالعديد من النماذج الكتابية التي تنتمي إلى التقليد الاستشراقي، والتي تمتد من القرن الثامن عشر إلى الأزمنة الحديثة، مثل كتابات آرثر بلفور (Arthur Balfour)وموضوعه حول "وصف مصر" وأعمال الروائي " فلوبير"، ليبرهن على أن هذا الخطاب يرتبط بشكل جوهري بعلاقات القوة والهيمنة، وأن تشكّل المعرفة حول الشرق قد جاء متزامناً ومترابطاً مع امتلاك الغرب لأدوات السيطرة العسكرية والسياسية، ما جعله يقبل بهذه العلاقة التي تقوم على التسلّط والاستعباد.

ويضيف معنى ثالثاً للاستشراق، يعرّفه من خلاله ارتكازه على عناصر مادية وتاريخية حيث يقول: "**إذا اعتبرنا أواخر القرن الثامن عشر نقطة انطلاق عامة إلى حد بعيد استطعنا أن نناقش و نحلل معه معناه الاستشراق بصفته المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق والتعامل معه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه والسيطرة عليه وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبا غربيا، للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه والتسلط عليه"**[2]؛ هذا يعني أن الاستشراق لم يقتصر على كونه مجالًا معرفيًا يهتم بدراسة ثقافات

[1]. سعيد إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص45.
[2]. المرجع نفسه، ص45-46.

وعادات وحضارات الشرق، بل تجاوز ذلك ليُصبح أداة للهيمنة وفرض النفوذ والسيطرة على الشرق. فقد كشف إدوارد سعيد أن أغلب دراسات المستشرقين لم تكن بدافع علمي خالص كما تبدو، بل كانت مدفوعة في جوهرها برغبة في التسلط والتحكم، تخدم مصالح سياسية واقتصادية وثقافية للقوى الاستعمارية.

ويُظهر في مقاربته النقدية أن "**الاستشراق لا يُعدّ مجرد مشروع فكري محدود، بل هو مشروع ثقافي واسع النطاق، تولّد في أحضان بريطانيا وفرنسا، وله أبعاد متعدّدة، تشمل الجغرافيا والسياسة والتعليم والعسكر، حيث امتد تأثيره ليطال الهند وبلاد الشام، وانعكس على الجيوش الاستعمارية والمناهج التعليمية والمواد الدراسية، كما يتضمّن مجموعة متشابكة ومعقّدة من الصور الذهنية والأفكار حول الشرق، مثل اعتباره موطناً للاستبداد، ومصدراً للجمال والبذخ، ونزوعه إلى العنف والوحشية**[1]؛ هذا يعني أن إدوارد سعيد أراد أن يكشف كيف أن الاستشراق كان أداة للسيطرة، لا مجرد بحث علمي. الغرب استخدمه لتكوين صورة مشوّهة عن الشرق، تُظهره كمنطقة متخلّفة وعنيفة، من أجل تبرير التدخل والسيطرة. الاستشراق هنا ليس مجرد فكر، بل جزء من مشروع استعماري متكامل.

كما يحدد ثلاث دلالات للاستشراق: الأولى أكاديمية تتمثل في تدريسه كعلم في المؤسسات الجامعية والثانية خيالية تتجلى في التصورات والروايات التي نسجها الغرب عن الشرق، أما الثالثة فهي تعبير عن الهيمنة الغربية، حيث يكون الاستشراق شكلاً من أشكال المعرفة التي لا تنفصل عن القوة الاستعمارية. وتتقاطع هذه المعاني الثلاثة لتؤكد أنّ الاستشراق في جوهره هو دراسة الغرب للشرق من زاوية خطابية تمزج بين المعرفة والسياسة والسلطة.

ويعتمد " إدوارد سعيد" في تحديده لماهية الاستشراق على مقاربة ابستمولوجيا، فيراه علماً له موضوعه ومنهجه الخاص، لكنّه لم يتشكّل بطريقة مباشرة، بل جاء نتيجة تفاعل تاريخي. إذ نشأ أولاً كصفة تشير إلى اللغة الشرقية، ثم تطوّر ليصبح موضوعاً معرفياً في الفكر الغربي، وصولاً

[1]. ينظر: سعيد إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص 47.

إلى تحوّله إلى واقع متخيَّل – لكنه مقدَّم كما لو كان حقيقياً – عبر الصور التي أنتجها الغرب عن الشرق.

وفي هذا السياق، "**يصف "إدوارد سعيد" الخطاب الاستشراقي بالجمود، ويقول إن هذا الخطاب يتميّز بنفس أوجه القصور التي تنتج عن تجاهل إنسانية ثقافة أو شعب، حين تُختزل إلى "جوهر"، وتُجرّد من خصائصها الفعلية، بل إن الاستشراق ذهب أبعد من ذلك، حين افترض أن الشرق لا وجود له إلا بقدر ما يراه ويصفه الغرب، وظلّ هذا الشرق، في التصوّر الغربي، كياناً ثابتاً في الزمان والمكان**"[1]؛ وبهذا تحوّل الخطاب الاستشراقي إلى ممثل رسمي لشعوب وثقافات لا ينتمي إليها من حيث الأصل أو الثقافة أو التاريخ، مقدّماً الشرق كموضوع جامد قابل للتحكّم والدراسة، بهدف تعزيز الهيمنة السياسية.

لذا، فإن الخطاب الاستشراقي في تصوّره ليس خطاباً علمياً موضوعياً محايداً، بل هو خطاب تتكشف فيه آليات السيطرة والهيمنة الثقافية والسياسية، وهو خطاب يحاول التستر خلف العلم والمعرفة، لكنه يخفي في أعماقه نوازع التسلّط. "**ويصرّح "سعيد" بأن هيكل الاستشراق لا يزيد عن كونه هيكلاً من الأكاذيب أو الأساطير وأننا إذا ذكرنا الحقائق الدحض هذه وتلك فسوف ينهار البناء وتذروه الرياح، وأنا أعتقد شخصيا أن القيمة الكبرى للاستشراق تكمن في كونه دليلاً على السيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق أكثر من كونه خطاباً صادنا حول الشرق**"[2]؛ هذا يعني أن إدوارد سعيد يرى أن القيمة الحقيقية للاستشراق لا تكمن في صدقه المعرفي، بل في كونه دليلاً على السيطرة الأوروبية – الأميركية على الشرق، بالرغم من ادعاءاته الأكاديمية، فرغم أن المستشرقين يقدّمون أنفسهم كعلماء وباحثين، فإن دراساتهم كانت تخدم مصالح الهيمنة، لا الحقيقة.

وفي النهاية، فإن "إدوارد سعيد" قد مارس من خلال كتابه "الاستشراق" نقداً ثقافياً للخطاب الغربي الاستعماري، إذ كشف عن العلاقة غير المتكافئة بين المعرفة والسلطة، وبيّن كيف تتداخل

[1]. ينظر: سعيد، إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص 129.
[2]. المرجع نفسه، ص 50.

النصوص مع التشكيلات الفكرية الجماعية، مشيراً إلى أن تحليل الاستشراق يجب أن يتم بوصفه خطاباً، ما يتيح فضح آلياته السلطوية واتساع نطاقه الاستعماري.

## 2. تلقي مفهوم الخطاب في كتاب الاستشراق:

يُعدّ ميشال فوكو أحد أوائل المنظرين الذين ساهموا بشكل جوهري في بلورة ملامح النظرية ما بعد الكولونيالية، وقد كان له تأثير بالغ في هذا المجال، لا سيما على المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد، الذي يُعتبر من أبرز المفكرين الذين استلهموا أفكاره من فوكو. فقد استند سعيد، في الكثير من تحليلاته النظرية والنقدية بشكل خاص إلى أفكار كل من ميشال فوكو، وأنطونيو غرامشي ونعوم تشومسكي، حيث لعبت نقديات وتشخيصات تشومسكي للعلاقات السلطوية دوراً محفزاً ومشجعاً لسعيد، دفعته لامتلاك الجرأة على الخوض في قضايا حساسة تتعلق بالبنية الثقافية والسياسية للمجتمعات[1].

"**وبفعل هذا التفاعل الفكري العميق، اعتمد إدوارد سعيد على أفكار ميشال فوكو بشكل لافت، لا سيما في توظيفه للمفاهيم الفوكوية المتعلقة بالثقافة والتاريخ**"[2]؛ وهذا من خلال مقاربة تتأثر بعمق بالمحددات السياسية والإيديولوجيات السائدة والمهيمنة في الفضاء الاستعماري وما بعده. وقد برز هذا التأثر جلياً في اهتمام فوكو بالعلاقة بين السلطة والمعرفة، وهي العلاقة التي نال بها شهرة واسعة، حيث انكب على دراسة الكيفية التي تُنتج بها المعرفة ضمن إطار السلطة، والعكس.

فقد رأى سعيد في هذا التوجه الفوكوي مصدراً بالغ الأهمية، بل ونهلاً غنياً في منهجيته الفكرية، وخاصة في كتابه الشهير "الاستشراق"، إذ أقرّ صراحةً بأن الكتاب يدين بالكثير من أسسه النظرية لتحليلات فوكو الدقيقة حول جدلية السلطة والمعرفة. فبالنسبة لسعيد، فإن مفاهيم فوكو حول التمثيلات المعرفية، والنظام، والاستقرار والسلطة التنظيمية التي تُمارس من خلال المعرفة، تمثل مرتكزاً نظرياً أساسياً لفهم البنية العميقة لمؤسسات الحكم. ولذلك، اعتمد سعيد على نموذج

[1]. ينظر: شيلي واليا: إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، تر: أحمد خريس وناصر أبو الهيجاء، أزمنة، عمان الدوحة، ط1، 2007، ص30

[2]. المرجع نفسه، ص 32

فوكو لفهم كيف تؤسس السلطة نفسها من خلال المعرفة، وكيف تستخدم هذه المعرفة كأداة للسيطرة، والإقصاء، والقمع، عبر مؤسسات الدولة.

غير أن هذا التوافق الفكري بين سعيد وفوكو لم يظل مستقراً أو ثابتاً، بل عرف نوعاً من التوتر والاختلاف مع مرور الوقت، ويعود السبب في ذلك إلى الموقف النقدي الذي اتخذه سعيد لاحقاً تجاه منظّري ما بعد البنيوية، وهو نقد طال بشكل غير مباشر أو مباشر بعض الأطروحات التي ارتبطت بفوكو نفسه. فعلى الرغم من أن سعيد كان يعتبر فوكو مرجعاً منهجياً لا غنى عنه من جهة، إلا أنه من جهة أخرى لم يُخفِ شكوكه وتحفظاته تجاه الفهم الفوكوي لطبيعة السلطة، خاصة فيما يتعلق برفض فوكو لفكرة البنى القامعة المهيمنة، والتي ترى في السلطة قوة مركزية عليا تمارس فعلها من الأعلى نزولاً إلى قاعدة المجتمع.

يكمن الفارق الجوهري بين الفكر الفوكوي وبين الطرح الذي يقدمه سعيد، يركز فوكو على فضح أنظمة السلطة وتحليل تمظهراتها عبر الخطابات والمؤسسات، دون أن يقدم رؤية للمقاومة نجد أن سعيد، كمفكر ملتزم، يُدخل البُعد السياسي في تحليلاته بشكل واضح، ويتناول قضايا ثقافية وفكرية وأدبية وفنية بمنهج نقدي حاد، يكشف فيه عن الاستبداد ويُعرّي فيه أنظمة عربية وإسلامية متعددة، لم يسلم أيٌّ منها من سهام نقده الحاد.

## 3. مفهوم الخطاب عند ميشال فوكو

يتسم "**المشروع الفكري لميشيل فوكو بطابعه الحركي المتعدد الأبعاد، حيث انخرط في مسارات منهجية متنوعة وغنية، فإنّ الثابت الذي ظل يميز هذا المشروع على الرغم من كل تلك التحولات، هو التزامه بمنهجية فكرية تنبني أساساً على مفهومية "الخطاب". فعلى الرغم من النقلة النوعية التي قام بها فوكو في معالجاته لموضوعات متباينة مثل المعرفة، والسلطة، والأخلاق، إلا أنّ استخدامه لمفهوم الخطاب، وخاصةً بالمعنى التداولي، بقي حاضراً وثابتاً في مجمل إنتاجه النظري.**"[1]؛ وهذا يعني أن مشروع ميشيل فوكو الفلسفي كان متنوعًا ومتغيرًا من حيث المواضيع والمنهج، لكنه ظل يعتمد بشكل ثابت على مفهوم "الخطاب" كأداة تحليل رئيسية.

[1]. الزواوي بغورة: بعد الحداثة والتنوير، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009، ص 105.

مهما اختلفت مجالات بحثه – من المعرفة إلى السلطة إلى الأخلاق – فإن فكرة الخطاب، خاصة بمعناه التداولي (أي كيف يُستخدم في السياق)، كانت محورًا ثابتًا في فكره.

أما فيما يتعلق بموقف فوكو من اللغة، فقد شكّل هذا الموقف حجر الزاوية في تطويره لمفهوم الخطاب "**فقد رأى فوكو أن اللغة لا يمكن اختزالها في مكوناتها الصورية أو بنياتها الرمزية المجردة فقط، كما هو الحال في التحليلات البنيوية التقليدية، بل يجب التعامل معها أيضاً من خلال وظائفها الواقعية والمادية، أي من خلال أدوارها الملموسة ضمن الممارسات الاجتماعية والمعرفية**"[1]؛ وهنا يتمايز فوكو بوضوح عن التحليل البنيوي للغة، إذ لا ينطلق من التصورات التي تركز على البنى الشكلية الثابتة، بل يبني تحليله على فهم اللغة من حيث وظيفتها ضمن السياقات التداولية، أي من حيث علاقتها بالاستخدام الاجتماعي والسياسي والمعرفي كما أنّه يؤكد على البعد التاريخي في مقابل النزعة البنيوية التي تركز على البنية الثابتة، ويُفضل التركيز على التحول والانقطاع بدلاً من الاستمرارية والثبات.

وهكذا، يمكن القول إن فوكو، من خلال تركيزه على الوظيفة الخطابية، والشرط التاريخي، والممارسة الاجتماعية، قد أسّس لما يُعرف "بالتداولية الخطابية"، أي أنه رسّخ مقاربة تحليلية ترى في الخطاب ممارسة اجتماعية وتاريخية تتجاوز النظرة الشكلانية المغلقة التي تميز المدرسة البنيوية.

وبناء على ذلك، فإن الإشكالات الفلسفية التي يثيرها فوكو تبتعد جذرياً عن تلك التي يشتغل عليها الفكر البنيوي. إذ أن اهتمام فوكو ينصب على إبراز الطابع الحدثي للمعرفة، وأنماط السلوك، ومفاهيم الحقيقة، حيث يرى هذه العناصر ليست كيانات ثابتة أو مطلقة، بل هي رهانات تاريخية تتشكل ضمن فضاء الممارسة، وتشكل بدورها الفضاء الاجتماعي والمعرفي من خلال الفعل اللفظي والسلوك العملي.

انطلاقًا من هذا التحديد التداولي للغة، يتأسس مفهوم الخطاب عند ميشيل فوكو على مستويين جوهريين وأساسيين. أول هذين المستويين يتمثل فيما يسميه فوكو بـ "الانتظام"، إذ ينطلق

[1]. الزواوي بغورة: بعد الحداثة والتنوير، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، ص 173- 174.

من فرضية مركزية مفادها أن "**إنتاج الخطاب، في كل مجتمع، لا يتم بصورة تلقائية أو فوضوية، بل هو إنتاج مراقب ومنتقى ومنظم، ويعاد توزيعه وفق مجموعة من الإجراءات التي هدفها الأساسي الحد من سلطته ومخاطره، وضبط آليات تحققه الممكنة، والعمل على إخفاء ماديته الثقيلة**"[1]؛ ويُفهم من هذا القول أن الخطاب ليس مجرد وسيلة أو أداة بيد السلطة توظفها كما تشاء، بل إن للخطاب في ذاته سلطة كامنة، فهو يشكّل مجالاً ينبثق منه الفعل الخطابي أي أن كل قول أو تعبير لغوي لا يكون بريئًا أو خارجًا عن التنظيم، بل يفترض ضمنيًا جملة من القواعد والانتظامية الخاصة التي من خلالها تتحدد حدود ما يمكن التفكير فيه، وشروط هذا التفكير. وهذا ما يعني، أنه "**ليس ثمة نظام جوهري أو موضوعي للعالم في ذاته، بل النظام الذي نخلقه له ينبع من التنظيمات التي نفرضها عليه من خلال توصيفاتنا اللغوية**"[2]؛ وهكذا تصبح البنيات الخطابية هي التي تصوغ الكيفيات التي من خلالها نفهم الوقائع، ونؤولها، وننتج بشأنها أنظمة للمعنى والتفسير. ومن هنا، فإن اهتمام فوكو ينصب على "**الطريقة التي تُخبرنا بها الخطابات، إلى الحد الذي تجعلنا نفكر ونتصرف فقط ضمن أطر وأبعاد محددة**"[3]؛ وانطلاقًا من هذا الفهم، فإن تحليل الخطاب لا يُختزل في كونه تحليلًا للبُنى اللفظية أو الصيغ التعبيرية من حيث بنيتها الشكلية بل يتجاوز ذلك ليصبح تحليلًا للبنيات والقواعد التي تحكم إنتاج المعرفة ذاتها. ولهذا السبب، اصطلح ميشيل فوكو على هذا النمط من التحليل باسم "الأركيولوجيا" أو "الحفريات (Archaeology)". وكما يوحي هذا المصطلح، فإن "**الأركيولوجيا عند فوكو تستعير منهجها من علم الآثار، فهي تهدف إلى الحفر والكشف عمّا هو مغمور ومخفي خلف الكلمات، وتسعى إلى إظهار "الأرشيف" الكامن، أي المجال اللاواعي والموضوعي للبنيات المعرفية والثقافية**"[4].

وتنطلق هذه المقاربة من تحليل الوحدات الذرية للخطاب، أي الجمل والعبارات، فتدرس كيفية انتظامها وتشكّلها، ثمن حدوث انحرافها أو تجاوزها. وانطلاقاً من هذا الفهم، يمكن القول إن فوكو لا يحدد مفهوم الخطاب ضمن إطار تصوري جامد كما هو الحال في التصورات البنيوية، والتي

[1]. ميشال فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، د ط، ص 4.
[2]. ميلز سارة: الخطاب، تر: غريب إسكندر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 64.
[3]. المرجع نفسه ص 66.
[4]. مهيبل عمر: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 223.

تتعامل مع اللغة كنسق مغلق ومكتمل يتعين رسم حدوده وقوانينه الداخلية. بل إن فوكو يرفض هذا التوجه البنيوي، ويقترح بدلاً منه مقاربة تحليلية ديناميكية تركز على الطابع الحدثي والتاريخي للخطاب، وعلى وظيفته ضمن السياقات الاجتماعية والمعرفية.

يُشير إدوارد سعيد في كتابه "**الثقافة والإمبريالية**" إلى أن المؤرخين التقليديين الذين أرّخوا لاستقرار الإمبراطوريات ركزوا على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتحولات التاريخ الكبرى، متجاهلين البُعد الثقافي الحيوي، فالثقافة بحسب سعيد، تُعدّ ضمير الأمم وذاكرتها، كما يبرز أن الثقافة ليست مجرد أدوات ظاهرة كالأدب والفن والتعليم، بل تشمل أيضًا أدوات خفية كالفلسفة والتاريخ والدعاية والإعلام والتراث الشعبي. ويُؤكد أن الإمبريالية استقرت بأدوات الثقافة واهتزت أركانها بنفس أدوات الثقافة المقاومة، فهو يرى أن الأمم الغالبة التي أباحت لنفسها حق احتلال أمم مغلوبة وقهرها وإذلالها استخدمت الثقافة الإمبريالية لتبرير طغيانها أو لتمرير مخططاتها، بينما لم يأتِ تحرير الأمم المغلوبة إلا بأداة الثقافة التي زرعت الوعي وأيقظت الحس الوطني والديني لرفض الاستعمار والمطالبة بالاستقلال[1].

ويعتبر سعيد أن كتابه في "الثقافة والإمبريالية" يُعدّ تكملة طبيعية لكتابه السابق "الاستشراق"، حيث يُحلل فيه كيف أن الاستشراق لم يكن مجرد مجهود علمي، بل كان تمهيدًا بوعي أو بلا وعي لاستقرار الإمبريالية، التي تعني بسط النفوذ الأجنبي عرقيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وثقافيًا من قبل أمة على أخرى تحت دعاوى "التمدين" أو الوحدة أو الإلحاق أو العولمة، كما يضرب أمثلة ساطعة على ذلك، مثل المثال الهندي، حيث فرضت المملكة البريطانية إمبراطوريتها على الهند التي كان عدد سكانها ثلاثمائة مليون نسمة، بجيش بريطاني قوامه ستون ألف جندي يؤطرهم أربعة آلاف موظف ويصاحبهم تسعون ألف مواطن مدني بريطاني .ويُشير إلى أن هذه الحقيقة الغريبة يتفهمها كاتب روائي بريطاني هو (كونراد) ويبررها في رواية "طريق الهند" كواقع طبيعي دون أن يُظهر علامات العجب أو الاعتذار للشعب الهندي الرافض لهذا المد الإمبريالي[2].

---

[1]. أحمد القديدي: ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، متاح على موقع:
https://arabi21.com/story/1411499ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، 17جانفي 2024.

[2]. المرجع نفسه.

كما يُحلل سعيد الظاهرة الشعرية لشاعر بريطانيا (ت. س. إليوت)، حيث يتوارى الواقع الإمبريالي خلف أجواء وفضاءات خيالية جمالية فنية، لا مجال فيها لتحليل القهر اليومي المسلط على شعوب الجنوب من قبل الاحتلال البريطاني. وينطبق الأمر نفسه على الاستعمار الفرنسي للجزائر والمغرب العربي منذ عام 1830 حيث مر أدباء ومثقفون فرنسيون كبار مرور الكرام على عمليات الإبادة الجماعية والتعذيب، كأنما أدبهم الروائي والشعري لا يتسع لاحتواء نكبة هذه الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها، باستثناء موقف الفيلسوف الوجودي (جون بول سارتر) ضد التعذيب في الجزائر، وموقف الكاتب الفرنسي المولود بالجزائر (ألبير كامو)[1].

ويستشهد بخطاب (رينولدز) الذي يقول: "**إن الفن والعلم يشكلان أسس الإمبراطورية، حاولوا نزعهما عن جوهر الإمبراطورية، لن يبقى منها شيء يُذكر، لأن الإمبراطورية هي التي تتبع الثقافة وليس العكس**"[2]؛ فهو يقارن بين ثقافة المقاومة في الهند ومثيلتها في المغرب العربي، الأولى ضد الإمبراطورية البريطانية والثانية ضد الإمبراطورية الفرنسية، ويجد فيهما نسقًا واحدًا من الهيمنة بالفن والفكر والتعليم باستضعاف الشعوب المولّى عليها ويفسر لماذا لجأ المثقفون المغربيون إلى ماضيهم ومجدهم الإسلامي ليستوحوا منه المدد والروح لمقاومة الاستعمار الإمبريالي الدخيل، فكان الجهاد الثقافي توطئة وتمهيدًا للجهاد بالسلاح من أجل التحرير' فقد قرأ سعيد بعد ذلك أحداث العولمة الطاغية من هذا المنظور، ليفتح عيوننا – نحن العرب – على حقائق الهيمنة الثقافية الجديدة المتخفية ببرقع الشعارات، حتى يسهل الاستحواذ على ثرواتنا ومصائرنا[3].

من خلال كل ما سبق فإن الثقافة الإمبريالية هي تلك المنظومة الفكرية والقيمية والإبداعية التي تنتجها وتروج لها الدول الاستعمارية بهدف فرض هيمنتها على الشعوب المستعمَرة، ليس فقط بالسلاح أو النفوذ السياسي، بل عبر العقول والوجدان .وهي تشمل الأدب، والفنون، والتعليم والفلسفة، الإعلام، وحتى التاريخ، والتي تُستخدم كلها لتبرير الاحتلال، ونشر صورة متفوّقة

[1] ينظر: أحمد القديدي: ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، متاح على موقع:
https://arabi21.com/story/1411499ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، 17جانفي 2024.
[2]. المرجع نفسه.
[3] المرجع نفسه.

للمستعمِر، وتصوير المستعمَر على أنه "متخلّف"، "قاصر" أو "يحتاج إلى التمدين، فوفقًا لما طرحه إدوارد سعيد، فإن الدول الإمبريالية لم تكتفِ بالسيطرة العسكرية والاقتصادية، بل غزت العقول من خلال روايات، مسرحيات، كتب تاريخ، وقصائد شعر تُظهر الاستعمار كأمر طبيعي أو حتى ضروري. فعلى سبيل المثال، كما في رواية "كيم" للمؤلف البريطاني روديارد كيبلينغ، نجد أن السيطرة البريطانية على الهند تُقدَّم وكأنها واقع لا يمكن تغييره، بل فيه نوع من "القدرية الثقافية". هذه الأعمال لم تكن بريئة، بل كانت تمهد لتقبل الشعوب المستعمَرة لوضعها المهزوم وتزرع فيها الشعور بالدونية[1].

ما يميز طرح إدوارد سعيد هو تأكيده على أن الثقافة لم تكن فقط وسيلة قهر، بل كانت سلاحًا في يد المقاومة أيضًا .الشعوب المغلوبة، مثل شعوب المغرب العربي والهند، واستخدمت ثقافتها – من شعر، ودين وتعليم، وتراث – كوسيلة لإحياء الوعي، وبناء هوية وطنية ودينية رافضة للاستعمار والمفكرون والأدباء مثل مالك بن نبي، فرانتز فانون، أبو القاسم الشابي، وابن باديس، كلهم أسهموا في تأسيس خطاب ثقافي مقاوم كان هو الأساس الذي مهّد للجهاد بالسلاح[2]. هذا يعني أن الثقافة لم تكن فقط أداة للاستعمار، بل كانت أيضًا سلاحًا لمقاومة الشعوب حيث استخدمت المستعمَرة استخدمت شعرها ودينها وتعليمها لتقوية هويتها ومقاومة الاستعمار.

[1]. ينظر: أحمد القديدي: ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، متاح على موقع https://arabi21.com/story/1411499ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، 17جانفي 2024.

[2] المرجع نفسه.

**خلاصة الفصل:**

بعد هذا التمحيص النظري لمفهوم الخطاب، ومقاربته في اللسانيات والنظرية المعرفية يتضح أن الخطاب ليس مجرد وسيلة للتواصل، بل هو أداة هيمنة، وآلية لإنتاج المعنى، ومجال تتجاذبه السلطة والمعرفة. لقد أبان ميشال فوكو، ومن بعده إدوارد سعيد، كيف تُبنى الخطابات لتُقصي وتُهيمن وتُسكت، لا لتصف الواقع فحسب بل لتعيد تشكيله في خدمة موازين القوى. فالخطاب يصبح بذلك حلبة تتصارع فيها الأيديولوجيات والرؤى، ويُعاد من خلالها رسم خرائط الهوية والانتماء.

وانطلاقًا من هذا الإطار المفاهيمي، نلج في الفصل الثاني إلى **رواية "إيزابيل" للكاتب سليم بتقة**، لا لنقرأها كحكاية فقط، بل كخطاب ثقافي تتجلى فيه تمثلات الذاكرة، والآخر، والذات المستعمَرة. إن هذه الرواية بما تحمله من شحنات رمزية وتاريخية، تُشكّل مختبرًا نصّيًا غنيًا يمكن من خلاله تفكيك ديناميات القول، وتشريح آليات التمثيل، وفهم كيف تُعاد كتابة التاريخ عبر السرد. ففي "إيزابيل"، لا تُروى القصة فقط، بل يُعاد إنتاج الواقع من زوايا خفية، حيث تتقاطع اللغة مع الذاكرة، والحب مع الخيانة، والتاريخ مع الأسطورة.

# الفصل الثاني: إيزابيل بين الخطاب الاستعماري والخطاب المضاد في رواية سليم بتقة

أولا. إيزابيل إيبرهات شخصية تاريخية.

ثانيا. إيزابيل إيبرهات في الأدب الجزائري.

ثالثا. تخييل إيزابيل في رواية سليم بتقة.

رابعا. الخطاب الإستعماري في الرواية.

خامسا. الخطاب المضاد في الرواية.

## تمهيد

يتحدث الكاتب في رواية إيزابيل عن امرأة أجنبية عاشت في الجزائر خلال فترة الاستعمار ولكنه لا يقدّم قصتها بطريقة تاريخية تقليدية، بل يمزج بين الواقع والتخييل ليعبّر عن رؤيته الخاصة. ومن خلال هذه الشخصية، يُظهر كيف كانت إيزابيل تنظر إلى الجزائر، وفي كيف كان يراها السكان البسطاء الذين عاشوا بالقرب منها، وبالرغم من أن شخصية إيزابيل حقيقية، فهي تتحول في الرواية إلى رمز للاستعمار، غير أن الكاتب لا يستعرضها من خلال الكتب أو الروايات التي كتبها المستعمر، وإنما من خلال نظرة الناس العاديين من حياتهم اليومية، ومن هنا تعكس هذه الشخصية الصراع القائم بين من يفرض السلطة ويتحكم في الواقع وبين من يعيش التهميش ولا يجد من يسمعه أو يمثّل ...

أما المحور الأساسي الذي ترتكز عليه الرواية يتمثل في الخطاب المقاوم الذي يظهر بهدوء في مشاهد الحياة اليومية: في بيت ام خذير، وغرفته، وفي طقوس الضيافة، والكلام، والأماكن وحتى في صوت الطيور فوق الأسطح المعتمة. من خلال هذه التفاصيل البسيطة، تنبعث مقاومة صامتة، لا تواجه الاستعمار مباشرة لكنها تروي حكاية موازية تكشف ما خفي من عنف الاستعمار. وبهذا السرد، يخوض الجزائري صراعًا داخليًا يستعيد من خلاله صوته، كذات تتحدث وتفكر، لا كموضوع يُمثَّل ويُحدَّد من الخارج.

## أولا: إيزابيل إيبرهات شخصية تاريخية

تعد "**إيزابيل إيبرهارت (1877–1904) واحدة من الشخصيات الأدبية المثيرة في تاريخ الأدب الفرنسي والعالمي، وقد تركت بصمة كبيرة رغم حياتها القصيرة. وُلدت في جنيف بسويسرا في17 فبراير 1877، وكانت تنتمي إلى عائلة فكرية ونخبوية، ولكنها اختارت مسارًا غير تقليدي في حياتها. من خلال مغامراتها الكتابية والشخصية، أصبحت إيبرهارت رمزًا للبحث عن الهوية، الحرية، والروحانية، فضلاً عن كونها واحدة من أولى النساء اللواتي دخلن إلى أعماق الصحراء الجزائرية واستكشفن حياة البدو**"[1].

نشأت في أجواء مختلطة ثقافيًا، حيث كانت تنتمي إلى بيئة أوروبية، لكن عاشت في بيئة استعمارية، ما جعلها شخصية هجينة ومفتوحة على صراع هوياتي مستمر بين الشرق والغرب. كانت تشعر بالاغتراب في المجتمع الأوروبي بسبب خلفيتها الثقافية، كانت في بداية حياتها جزءًا من عائلة متحضرة تضم والدها الذي كان كاتبًا وفيلسوفًا، ووالدتها التي كانت من أصل روسي. نشأت في بيئة أدبية وثقافية، مما شكل اهتمامها المبكر بالأدب والفكر، وفي وقت مبكر من حياتها، انتقلت مع عائلتها إلى الجزائر بعد أن واجه والدها ظروفًا اقتصادية صعبة، هذه الانتقالية كانت لها تأثير كبير على حياة إيزابيل، حيث اختارت أن تعيش في بيئة ثقافية جديدة تمامًا عن بيئتها الأصلية، وهو ما شكل نقطة تحول مهمة في حياتها [2].

عاشت إيزابيل في الجزائر في فترة كانت تحت استعمار الفرنسي، وهو ما أضاف بعدًا آخر لتجربتها هناك. على الرغم من أن إيزابيل كانت أوروبية الأصل، وجدت نفسها في صراع داخلي دائم، لأنها كانت تعتبر أن الجزائريين الذين عاشوا تحت الاستعمار ورفضوه، كانت ترى أن الاستعمار قد جلبها غريبة إلى المجتمع الذي نشأت فيه، وبالتالي شعور مزدوج بالانتماء للجزائر والجزائريين، خاصة في المجتمع البدوي الذكوري الذي يختلف تمامًا عن المجتمع الاستعماري الفرنسي.

قررت إيزابيل أن تتنكر في زيّ الرجال، برغم من أنها كانت تنتمي إلى مجتمع استعماري غربي، مما سمح لها بالاختلاط بشكل أعمق مع الرجال البدو، الذين فرض عليهم المجتمع الاستعماري الكثير من القيود. كانت هذه التجربة جزءًا من بحثها المستمر عن الحرية الشخصية

[1]. بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، منشورات الوطن اليوم، سطيف العلمة، الجزائر2021، ص 52-53.

[2]. المرجع نفسه، ص 53 -54.

والوجودية، وهي إحدى أهم القيم التي كانت تسعى إليها طوال حياتها القصيرة توجهت الى مدينة الوادي للتحقيق في مقتل زوجها، فلبست اللباس الرجالي وتنقلت بحرية وعلقت الإدارة العسكرية على ذلك بأنها مرتبكة وقد تكون جاسوسة: "**وصلت الى مدينة الوادي لأول مرة يوم: 4أغسطس 1899 بتكليف من طرف " المركيز دوموراس –رطزي" للتحقيق في قتل زوجها في سنة 1895 على الحدود الجزائرية– التونسية– الليبية. وبعد المضايقات التي حاصرتها من طرف الإدارة العسكرية التي كانت تصفها بالعين الشريرة، قائلة: "إن هذه المرأة الروسية بالاسم الألماني وبالزي الرجَاليّ (زي الفرسان) والتي تعاشر القبائل، وترسم وتكتب لا شك أنها ميتودية أو جاسوسة**"[1].

لقد كانت ترتدي الملابس الرجالية وتتنكر في زيّ رجل، إذ كانت تتنقل بين شوارع الجزائر بحرية كأنها تعيش في عالمين مختلفين؛ مما يتطلب من امرأة حرة في جسد رجل حيث تقول "**فاجتزت وحدي، ممتطية فرسا، كلاً، من تونس والشرق الجزائري والصحراء القسنطينية، كنت أزور البقاع مرتدية الزيّ العربي، لطواعيته في التنقُّل ولجمالها**"[2]؛ هذا التنكر كان بالنسبة لها أكثر من مجرد اختبار عملي لمرآة التقاليد التي وضعتها مجتمعاتها الغربية، بل كان تعبيرًا عن رغبتها في التسلل إلى قلب الحقيقة، حيث كانت الهوية المشتتة بين ثقافتين لا تستطيع دعمها في ذاتها، حيث أصبحت أكثر اندماجًا في حياة البدو، ووجدت في هذا المجتمع ما كانت تبحث عنه من روحانية وانتماء. بدأت تكتب عن تجاربها في هذا العالم ولم تقتصر كتاباتها على السرد اليومي أو التقارير الرحلية، بل شملت أيضًا الأدب الصوفي الذي تأثرت به بشدة، لا سيما بعد أن اعتنقت الإسلام وتعلّمت اللغة العربية، التي كانت بالنسبة لها مفتاحًا روحيًا وثقافيًا، وتتجلى قمة هذا الاندماج في انضمامها إلى الطريقة القادرية الصوفية، حيث وجدت في الصوفية بعدًا إنسانيًا عابرًا للثقافات، لا يُصنّفها كامرأة غربية دخيلة، بل كروح تواقة للحقيقة

عاشت إيزابيل حالة من الذوبان في المجتمع الصحراوي، وتبني علاقات مع السكان، بل وتشاركهم همومهم اليومية، كما اختارت شابًا جزائريًا مسلمًا ليتزوجها على الطريقة الشرعية، تحت اسم "**عبد الله**"، مؤكدة رفضها للمنظومة الغربية بقيمها وقوانينها [3].

---

[1]. بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، ص54.

[2]. يزابيل ايبرهارت، ياسمينة وقصص اخرى، تر: حسن دواس، مراجعة ليلى عثمان فضل، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب 2012م، الكويت، ط1 ،1990، ص 34 _35.

[3]. ينظر: بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، ص55-57.

وفي تحولٍ أكبر من مجرد تغيير في اللباس، قررت أن تُغير اسمها أيضًا، من إيزابيل إلى **سي محمود السعدي**، وذلك في إطار تحوّل جذري تجاوز المظهر الخارجي إلى المساس بجوهر الهوية والانتماء ولم يكن هذا التغيير مجرد حيلة للتخفي، بل كان يعكس رغبة داخلية في الانسلاخ عن ماضيها الأوروبي والاندماج الكامل في التربة الجزائرية. فعندما عادت إلى مدينة الوادي يوم **2 أوت 1900**، استعملت هذا الاسم الجديد، وأقامت في حي شعبي بسيط، معلنة رغبتها في الإقامة الدائمة هناك، قائلة: "**إنني بعيدة عن العالم والحضارة ومهازلها المنافقة، إنني وحدي في دار الإسلام في الصحراء حرة، وفي أحوال صحية جيدة... الوادي البلد الذي لا تعد قبابه هي البلدة الوحيدة التي أقبل العيش فيها للأبد، دائما. أريد شراء أرض صالحة للزراعة، وأجعل فيها جنانا وبرا وخلا...**"[1]؛ فإن تغيير إيزابيل لاسمها خطوة ذات دلالة رمزية عميقة، عبّرت من خلالها عن تحوّل داخلي جوهري، ورغبة صادقة في الانتماء إلى الجزائر لا من موقع الزائر أو المستكشف، بل من موقع الاندماج الكلي في روح الأرض وثقافتها. لقد مثّل هذا التغيير تمردًا واعيًا على ماضيها الأوروبي وهويتها الاستعمارية، ومحاولة لإعادة بناء الذات ضمن فضاء روحي وثقافي جديد، أكثر انسجامًا مع تطلعاتها العاطفية والوجودية. فلقد سعت من خلال ذلك إلى التماهي مع التربة الجزائرية، التي وجدت فيها فضاءً من الحرية والامتلاء الروحي، جعلها تتنكر لما كانت عليه، وتعيد تشكيل ملامحها الفكرية والرمزية بما ينسجم مع عالمها الجديد.

ارتبطت بالضابط الفرنسي "ليوتي" في علاقة معقدة ومليئة بالتناقضات، وهو لم يكن مجرد عسكري، بل كان يمثل الوجه الرسمي للاستعمار الفرنسي في الجزائر، ويُعد من أبرز الشخصيات التي التقتها في مسارها الحياتي. إذ تعرّفت عليه في أكتوبر 1903، عندما عُيّن قائدًا لإقليم العين الصفراء وكان يُعرف آنذاك بسياسة "الإحلال" "**وهي سياسة استعمارية تقوم على فرض السيطرة من خلال التغلغل السلمي بدل المواجهة المباشرة، حيث قال: "إن أجمل الانتصارات هي إقرار السلم للحد من الخسائر، ويجب ألا ننسى أبدا أن علينا بناء غد قريب في بلد يناصبنا العداء...**" [2]؛ وبالرغم من علاقتها به، إلا أنها لم تكن تنتمي إلى منطقه السياسي، بل رفضت هذه الرؤية عندما طُلب منها أن تكتب تقريرًا لصالح السلطات الفرنسية، فاختارت أن تعبّر عن موقفها الحر من منطلق إنساني ووطني دون خوف أو مجاملة: "**لقد اعترضت؟ ونددت؟ ودون**

[1]. بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، ص54.
[2]. المرجع نفسه، ص58-59.

**خوف..."**[1]؛ وهو ما يكشف عن رفضها ويدل على أنها شخصية مركّبة، تتقاطع فيها الذات الحرة مع معطيات الواقع الاستعماري. في ضوء ذلك، فإن علاقتها بليوتي لم تكن علاقة خضوع، بل كانت تسعى من خلالها إلى إعادة تعريف ذاتها، كما لو أنها ترى فيه نموذجًا لما يمكن أن يحدث عندما تلتقي الإرادة الحرة مع رموز القوة. وهنا تحديدًا تخرج إيزابيل من صورة "الخادمة" أو "المتعاونة" التي يحاول البعض إلصاقها بها، لتدخل في سردية أكثر تعقيدًا، سردية امرأة جزائرية تنتمي إلى الذاكرة والوجدان، وتعيش في المفارقة: بين علاقتها بالاستعمار من جهة، ومحاولة التحرر من روايته من جهة أخرى.

قدمت شخصيتها صورة متقدمة عن المرأة في المجتمعات الاستعمارية، كونها لم تقتصر على مجرد الملاحظة والتوثيق بل كانت تمارس التأثير الفكري والنقدي على الواقع الذي كانت تعيشه. ورغم أن أعمالها لم تنل الشهرة الواسعة خلال حياتها، إلا أنها اليوم تعتبر من أهم المراجع في دراسة الأدب الاستعماري والتجارب الإنسانية في المجتمعات المستعمرة.

شكّلت نهاية إيزابيل إيبرهارت محطة مؤثرة في مسارها الحياتي والفكري، **إذ "توفيت إيزابيل إيبرهارت في مدينة عين الصفراء في الجنوب الغربي الجزائري، إثر فيضان وادي المدينة، ذات يوم ممطر في 27 أكتوبر 1904، وقد عثر عليها تحت أنقاض المنزل الذي كانت تقطنه في مدينة العين الصفراء، مرتدية كعادتها _ثياب فارس عربي _وهكذا، دُفنت في مقبرة المسلمين المعروفة باسم" سيدي بوجمعة" في المدينة ذاتها، حيث لايزال قبرها قائمًا إلى الآن"**[2]؛ وبالرغم من وفاتها المبكرة، فإن أعمالها الأدبية شكّلت تأثيراً قوياً في الأوساط الفكرية والأدبية، إذ لا تزال حتى اليوم واحدة من الشخصيات التي تمثّل التفاعل بين الثقافات في فترات الاستعمار، ففضلاً عن كونها رمزاً للحرية الشخصية والتجربة الإنسانية العميقة كانت كتاباتها تعبّر عن وعي استثنائي بتعقيدات الهويات والهجنة والانتماء. لذلك كان لموتها المفاجئ والمأساوي صدى عميق، لأنه أوقف مسار تجربة فكرية وإنسانية نادرة، كان من الممكن أن ترفد الحقول الأدبية والفكرية بمزيد من النصوص الفريدة. لكن حضورها ظل ممتداً بعد موتها، من خلال كتاباتها ومذكراتها، ومن خلال الرمزية القوية التي حملتها سيرتها، خصوصاً في كتابات ما بعد الاستعمار، التي قرأت شخصيتها بوصفها تمرداً على الأنماط الاستعمارية للهوية والتمثيل.

---

[1]. بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، ص 59.

[2]. إيزابيل إيبرهات، ياسمينة وقصص أخرى، ص34-35.

وفي النهاية، تظل إيزابيل إيبرهارت واحدة من الشخصيات الأدبية إثارة للجدل والاهتمام فهي في التاريخ ليست مجرد أسطورة، بل هي إشارة إلى الصراع الأزلي بين الهوية والغربة، بين الحرية والقيود التي يفرضها الآخرون.

## ثانيا: شخصية إيزابيل في الأدب الجزائري

رغم أن سليم بتقة قد يكون من أبرز الأسماء الجزائرية المعاصرة التي تناولت شخصية إيزابيل إيبرهارت في أعماله الأدبية، إلا أنه ليس الأديب الجزائري الوحيد الذي اهتم بسيرتها الغنية والمثيرة للجدل. فقد شكّلت هذه الكاتبة والمستكشفة السويسرية، التي انغمست في عمق الثقافة الجزائرية واعتنقت الإسلام وارتدت الزي الرجالي موضوعاً محفزاً للعديد من الكتاب والنقاد الجزائريين لما تحمله من تناقضات ثقافية، واجتماعية، وهوياته. ومن خلال قراءات مختلفة، تناول بعض الأدباء شخصية إيزابيل ليس فقط من زاوية حياتها المغامِرة، بل أيضاً عبر نقد خطابها الاستشراقي أحياناً، أو عبر إبراز ارتباطها بالمكان الجزائري والانتماء العاطفي والروحي الذي عبّرت عنه في نصوصها.

كانت إيزابيل إيبرهارت (Isabelle Eberhardt) شخصية فريدة ومثيرة للجدل في مطلع القرن العشرين حيث جمعت بين شغف الترحال وروح الكتابة الحرة، وبرزت بفضل مغامراتها غير التقليدية في شمال إفريقيا، لا سيما في الجزائر التي شكّلت محور تجربتها الحياتية والكتابية. عُرفت بشجاعتها في تحدّي القوالب الاجتماعية والهوية الجنسية، حيث كانت ترتدي زي الرجال لتتمكن من التجوال بحرية في المجتمعات المحافظة، وكتبت عن العالم العربي من زاوية تمزج بين الانبهار والانتماء، وتركت كتاباتها التي وثّقت فيها يومياتها وتأملاتها في حياة البدو والصوفية والصراعات الاستعمارية، صورة صادقة عن حياتها وتجربتها في الجزائر، وكشفت عن صراع الهوية الذي كانت تعيشه بين الثقافة العربية والانتماء الأوروبي.

أيضًا، لابد من التذكير بأن سليم بتقة في روايته *إيزابيل* لم يكن مجرد كاتب يستعيد شخصية تاريخية عابرة، بل حاول مساءلة الذاكرة الجماعية، حيث قدّم صورة امرأة كتبت حياتها بلغة الغربة والانتماء، عندما اختارت الجزائر وطنًا روحانيًا لها، غير أن لم سليم بتقة ليس الكاتب الجزائري الوحيد الذي تناول شخصية إيزابيل إيبرهارت، فقد اهتم بها العديد من الأدباء والمفكرين العرب والجزائريين، نظرًا لقصتها الفريدة كامرأة أوروبية دخلت الإسلام، وعاشت متخفية في شمال إفريقيا

وتحديدًا في الجزائر، حيث اختلطت بأهلها، وعبَرت الصحراء، ودوّنت تجاربها بلغة شاعرية صوفية عميقة..

ولكن ليس سليم بتقة الوحيد من الجزائريين الذين كتبوا حول هذه الشخصية بل ان هنالك نصوص تحدثت عن إيزابيل إيبرهات لكنهم لم يخصصوا لها أعمالاً أدبية كاملة، بل مرّوا على شخصيتها وتاريخها مرورًا ضمنيًا أو عرضيًا، خاصة أثناء مناقشة موضوعات مثل الاستشراق والهوية والانتماء، ويمكن اعتبار إشاراتهم بمثابة لمحات فكرية وأدبية تُبرز مكانة ايبرهات كظاهرة ثقافية أكثر من كونها موضوعًا مركزيًا نذكر منهم:

## 1- واسيني الأعرج

فقد جاءت شخصية إيزابيل في عمل واسيني الأعرج بوصفها نموذجًا مثيرًا للجدل والتأمل بعيدًا عن الصور النمطية التي اختزلتها في شخصية جاسوسة أو دخيلة على الفضاء الجزائري. في مقاله المعنون بـ "إيزابيل إيبرهارت: رحّالة فوق كل الشبهات"، حيث سعى واسيني الأعرج إلى تقديم قراءة معمقة لشخصية إيزابيل، انطلاقًا من بحث ميداني وتاريخي طويل قام به أثناء إعداده لسلسلة وثائقية، وقد ركز على إبراز حياة إيزابيل كامرأة اختارت أن تعيش خارج الإطار التقليدي سياسياً وثقافياً واجتماعياً، من خلال تبنيها لهوية مزدوجة: أنثى في أصلها، لكنها كانت تتنكر في هيئة رجل وتحمل أسماء عربية مثل "محمود سعيد" أو "سيدة الصحراء" كما كانت تُعرف.

كما يرى واسيني الأعرج أن ما يميز تجربة إيزابيل هو تمردها على القيم الأوروبية التي تربّت عليها، وحبّها الكبير للثقافة العربية الإسلامية، فهي لم تنظر إلى هذه الثقافة كغريبة عنها، بل شعرت بانتماء حقيقي لها. اعتنقت الإسلام، ولبست اللباس الرجالي، لا لتخفي هويتها، بل لتتمكن من العيش بحرية في مجتمع كان يقيّد حركة النساء. ويعرض الأعرج جوانب من حياتها في الجنوب الجزائري، خاصة في بسكرة وعين الصفراء، حيث عملت مراسلة صحفية رغم الأخطار، وتعرضت لتهديدات كثيرة، من بينها محاولة اغتيال[1].

وبالرغم من أن واسيني الأعرج لم يخصص لها رواية كاملة ضمن أعماله الإبداعية، فإنّ هذا المقال يُعدّ وثيقة فكرية وأدبية مركبة، تضع إيزابيل إيبرهارت في إطار إنساني وثقافي عميق.

[1]. ينظر: **واسيني الأعرج، "إيزابيل إيبرهارت: رحّالة فوق كل الشبهات"، القدس العربي، 3 مارس 2020، تاريخ الأطلاع: 22 افريل 2025** الرابط**https://www.alquds.co.uk/** : **إيزابيل-إيبرهارت-رحّالة-فوق-كل-الشّبهات/** .

كما نجد أن العلاقة بين إيبرهارت والجنرال ليوتي، كما يوضح الأعرج، تروي قصة مختلفة عن التي غالبًا ما تُروى في سياقات الاستعمار، فهذه العلاقة كانت مبنية على حوار فكري وجمالي إنساني أكثر منها على مصالح استخباراتية أو خيانات، وهو ما يكشف عن جانب إنساني عميق في تاريخ معقد. النهاية الرمزية التي يذكرها الأعرج، حيث قام ليوتي ببناء قبر إيبرهارت، ترمز بالنسبة لي إلى أن الحقيقة لا تموت، وأن الارتباط الإنساني والثقافي أسمى من أي اتهامات أو تحليلات سطحية. في الختام، أعتقد أن واسيني الأعرج قدّم رؤية شاملة تتخطى الإطار السردي التقليدي، ليصوغ نصًا وثائقيًا يحمل في طياته احترامًا واعترافًا بدور هذه الشخصية الاستثنائية[1].

كما نجد العديد من الكتاب الذين خصصوا روايات عن إيزابيل إيبرهات وألفو عنها كتب كاملة تتحدث عن حياتها ومختلف تجاربها ورحلاتها الى البلدان خاصة زيارتها الى الجزائر مع والدتها يمكن ان نذكر منهم:

## 2. عبد القادر عميش – سكوت... العارفة إيزابيل تتحدث.

يقدم عبد القادر عميش في... **رواية تواشج فيها الحكي الصوفي بالتاريخي الذي ينزع إلى الانزياح وخرق المألوف والمنطقي والممكن، ليسحب القارئ ويأخذ بيده إلى عالم الفانتازيا والدهشة، عالم يتأرجح فيه بين واقعية الأحداث ووهميتها، نسيج عجائبي لأحداث بدأت بحلم وتحققت بالتجلي والكشف ولقاء المريد بالقطب العارفة، أعادت صناعة التاريخ بعين الصدق الروحي، عبر استحضار العالم الماورائي واللامائي الذي لم يكن سوى ذاكرة التاريخ"**[2]؛ حيث تظهر شخصية إيزابيل إيبرهارت بشكل واضح ومميز، حيث ربط بين تجاربها الشخصية وارتباطها العميق بالأماكن التي عاشت فيها مثل وادي سوف وعنابة وعين الصفراء، التي شكلت جزءًا أساسيًا من هويتها وذكرياتها، بالإضافة إلى ذلك ركز عميش على الجانب الروحي والصوفي في شخصية إيزابيل، وخاصة علاقاتها مع شيوخ مثل الشيخ بوعمامة الذي كان رمزًا للصوفية والثورة ضد الاستعمار الفرنسي مما أبرز بحثها الدائم عن معنى أعمق للحياة والتزامها بالقيم الروحية للتراث الجزائري.

---

[1]. ينظر: **واسيني الأعرج: "إيزابيل إيبرهارت: رحّالة فوق كل الشبهات"، القدس العربي، 3 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: 22 افريل 2025** الرابط**https://www.alquds.co.uk/إيزابيل-إيبرهارت-رحّالة-فوق-كل-الشّبهات/** .

[2]. عبد القادر عميش: " فانتازيا التاريخي والحكي الصوفي في رواية سكوت... العارفة إيزابيل تتحدث"، مجلة اللسانيات العربية وآدابها، م2، العدد3، 28 افريل 2021، ص331.

كما أظهر جانبها المتمرد والمختلف حيث ارتدت لباس الرجال لتكون قريبة من الناس وتدافع عن الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي، وهذا دفع الفرنسيين لمحاولة إيقافها ومن هنا، برزت إيزابيل كشخصية تحمل تناقضات بين هويتها الغربية وانتمائها للجزائر، فهي كانت امرأة قوية وشجاعة تجمع بين الروحانية والنضال [1].

وبالتالي، يمكن القول إن عبد القادر عميش عرض إيزابيل كشخصية تجمع بين الروحانية والقوة، كما بيّن ارتباطها العميق بالجزائر ونضالها إلى جانب أهلها، مما يجعلها شخصية فريدة تعكس صراعات وانتماءات معقدة في زمن الاستعمار. وقد نجح الكاتب في دمج الحكي الصوفي مع الأحداث التاريخية، ليقدم صورة جديدة ومختلفة عن إيزابيل إبرهارت بعيدًا عن الصور التقليدية.

## 3. سعيد خطيبي – أربعون عامًا في انتظار إيزابيل

يقدّم سعيد خطيبي في روايته *أربعون عامًا في انتظار إيزابيل* رؤية مختلفة لحياة إيزابيل إيبرهارت، حيث لا يكتفي بسرد سيرتها، بل يتأمل في تأثيرها الرمزي في تاريخ الجزائر المعاصر تتناول الرواية الجوانب الثقافية والاجتماعية التي واجهتها إيزابيل في محاولتها للاندماج داخل المجتمع الجزائري، في وقت كان يعيش مرحلة استعمارية ثم يتحوّل تدريجيًا إلى مرحلة ما بعد الاستقلال، كما تحمل هذه الرواية طابعًا تأمليًا، حيث يدمج سعيد خطيبي بين الخيال والواقع التاريخي، فهو لا يروي فقط الأحداث، بل يخلط بين شخصيات حقيقية وأخرى متخيلة، مما يجعل السرد غنيًا، ومن خلال هذا الأسلوب، يفتح الكاتب حوارًا بين إيزابيل وبعض الشخصيات الرمزية التي تمثّل المجتمع الجزائري في فترتي الاستعمار وما بعد الاستقلال.

كما تُظهر الرواية أن إيزابيل واجهت العديد من التحديات في محاولتها للاندماج في المجتمع الجزائري وبما أن سعيد خطيبي يستند إلى تجربتها الحقيقية، فهو يحاول فهم الأسباب الاجتماعية التي جعلتها تختار العيش بين الجزائريين، رغم أن البعض كان يعتبرها غريبة، وبالتالي فإنها حالة من الاغتراب، سواء خلال فترة الاستعمار أو حتى بعد الاستقلال، لأنها كانت دائمًا بين عالمين لا تنتمي بالكامل إلى أيٍّ منهما [2].

[1]. عبد القادر عميش: " فانتازيا التاريخي والحكي الصوفي في رواية سكوت... العارفة إيزابيل تتحدث"، ص 314-316-319.
[2]. ينظر: سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار ايزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016.

جاءت شخصية إيزابيل في رواية *أربعون عامًا في انتظار إيزابيل* لسعيد خطيبي كشخصية تاريخية حقيقية أثارت الكثير من الجدل بين المهتمين بالتاريخ السياسي، استحضرها الكاتب منذ بداية الرواية باعتبارها رحالة وكاتبة ومستشرقة عاشت حياة الترحال قبل أن تستقر في الجزائر. كانت شخصية متمردة على التقاليد، تحوّلت من المسيحية إلى الإسلام، وتزوجت من سليمان أهني، لكنها كانت تعيش حالة من الازدواجية بين شخصيتي "سي محمود" و"إيزابيل"، تنقلت بين أماكن كثيرة، كما خاضت تجارب عاطفية متعددة، ومن خلال المخطوطات التي عثر عليها السارد، يكشف لنا الجانب الخفي من حياتها الخاصة، وينحاز إلى سرد قصتها من زاوية مختلفة. ورغم تعاطفها مع من عاشت بينهم، بقيت إيزابيل بالنسبة لهم غريبة، محاطة بالريبة والشك، ولم تنل محبة كاملة من المجتمع الذي اختارت أن تكون جزءًا منه... " **الرومية الستوتة جاسوسة؟ ...بنت الحرام سرقت منا الرجال ... لكنهن لم يسألن أنفسهن عن ماذا يمكنها أن تتجسس في صحراء يتسع فيها الرمل والصمت والخلاء والبؤس والقنوط**"[1]؛ وهذا ما يدل على عدم تقبّل المجتمع لها رغم محاولاتها في الاندماج.

رواية أربعون عامًا في انتظار إيزابيل لسعيد خطيبي فازت بجائزة كتارا للرواية العربية، وهذا دليل على أهمية الرواية وقدرتها على تقديم جانب إنساني عميق من حياة إيزابيل، بأسلوب يجمع بين الخيال والواقع ويُثري السرد التاريخي الجزائري، كما أن شخصية إيزابيل إيبرهارت لم تكن محل اهتمام من طرف كتاب مثل عميش وخطيبي فقط، بل نجد أيضًا عبد القادر حميدة في روايته شجرة البلوط، حيث عالج شخصية إيزابيل إيبرهات من منظور نفسي وفلسفي، كاشفا عن أبعادها الداخلية وصراعاتها مع الذات والمجتمع. وهذا يدل على أن إيزابيل لم تُقدَّم فقط كشخصية غريبة عن المجتمع الجزائري، بل أصبحت رمزًا يستعمله الكُتّاب لطرح أسئلة حول التاريخ، والهوية، والانتماء، والعلاقة مع الآخر. فقد وجد فيها الكُتّاب وسيلة لفهم أنفسهم وفهم وطنهم، خاصة في ظل الاستعمار والتحولات العميقة التي عرفها المجتمع. وبذلك تحولت إيزابيل إلى أداة للتعبير عن التناقضات الداخلية، والبحث عن الذات، وكيفية تأثير الماضي في الحاضر.

كما أن إيزابيل إيبرهات ليست الشخصية التاريخية الوحيدة التي تم تخييلها في الاعمال الأدبية الجزائرية بل إن هنالك شخصيات أخرى والتي عمل الكتاب والأدباء على إعادة تخييلها

[1]. سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار ايزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016، ص131.

أدبيا لأسباب عديدة وفي هذا السياق، يمكن التوقف عند بعض الشخصيات المماثلة لإيزابيل، والتي أثارت هي أيضًا جدلاً وسؤالًا حول علاقة الآخر بالجزائر، من أبرزها:

### 4.إيتيان دينيه(Émile Dinet)

تم استحضار شخصية الرسام إيتيان دينيه (الذي اعتنق الإسلام وأصبح يُعرف باسم نصر الدين دينيه) في رواية سعيد خطيبي "أربعون عامًا في انتظار إيزابيل" من خلال تقديمه كشخصية حقيقية عاش في مدينة بوسعادة الجزائرية وهو "**رسّام مستشرق فرنسيّ حقيقي، اشتهر بلوحاته وروايته "خضرة راقصة أولاد نايل" صورة نساء أولاد نايل؛ "قصّة خضرة الحقيقيّة، التي قام تحرّيفها، ونزع منها صفاتها الانسانيّة"**[1].

اعتنق دينيه الإسلام وأصبح جزءًا من النسيج الثقافي والاجتماعي للجزائر في تلك الفترة، ويُقدم دينيه كرمز للتحول الثقافي والروحي، حيث يُظهر كيف يمكن لشخص من خلفية غربية أن يندمج في المجتمع الجزائري ويصبح جزءًا منه، كما يظهر كيف أصبح رمزًا للتحول الثقافي والروحي وذلك من خلال اعتناقه للإسلام واندماجه في المجتمع الجزائري، هذا التحول يعكس التوتر بين الذات والآخر، بين الانتماء والاغتراب فالرواية لا تكتفي بسرد قصة دخول دينيه إلى الإسلام، بل تتعمق في التناقضات التي عاشها باعتباره شخصًا جاء من الغرب، فبين رغبته في اتباع التصوف كطريق روحي، وبين تأثيرات الاستعمار التي ظلت تلاحقه تظهر حالة من الصراع الداخلي والتردد، وهو ما يفتح المجال لنقاش أدبي وفكري واسع[2].

### 5. أوجين دولاكروا(Eugène Delacroix)

ظهر في رواية "**أسير الشمس** "للكاتب **حميد عبد القادر**، بوصفه رسامًا استشراقيًا فرنسيًا دخل الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر. تتناول الرواية رحلته ليس بوصفه مجرد فنان، بل كعين استعمارية توثّق الجمال الجزائري لا للحب بل للامتلاك.

هدف الرواية هو مساءلة الصورة الفنية التي رسمها الغرب لنساء الجزائر، وكيف أن دولاكروا، عبر فنه، ساهم في بناء **الأسطورة الإيروتيكية** للشرق، فجعل من المرأة الجزائرية جسدًا للعرض لا كيانا للوجود. هكذا، تصير الرواية نقدًا للاستشراق الفني، ومحاولة لفكّ رموزه السياسية والجمالية[3].

---

[1]. سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار ايزابيل، منشورات الاختلاف الجزائر، 2016، ص 50.

[2]. المرجع نفسه، ص14.

### 6. أندريه جيد(André Gide)

هو الكاتب الفرنسي المعروف، أندري جيد الذي زار الجزائر في بداية القرن العشرين، وكانت هذه الرحلة نقطة تحول في رؤيته للعالم وللإنسان، إذ تنقّل بين الجزائر العاصمة وبوسعادة وغرداية، وهناك اكتشف بساطة الحياة وسحر الطبيعة ودفء السكان، ولذلك عبّر عن إعجابه الكبير بهذه البلاد. غير أن نظرته تغيّرت تدريجيًا خاصة عندما لاحظ مظاهر الاستعمار الفرنسي ومعاناة السكان الأصليين، ثم تعمّق وعيه أكثر حين واصل رحلاته إلى الكونغو والنيجر، حيث صُدم من وحشية الاستغلال الذي يتعرض له الأفارقة باسم الحضارة. ومن ثمّ، عبّر في مؤلفاته عن مواقفه الرافضة للاستعمار ودعا إلى احترام كرامة الإنسان. وهكذا، فإن تجربته لم تكن مجرد رحلة استكشافية، بل تحوّلت إلى مسار إنساني وفكري عميق [1].

يمثل أندريه جيد شخصية إيزابيل، لكن لكل واحد منهم رؤيته الخاص حول الجزائر، حيث أن إيزابيل اندمجت تمامًا مع هوية الجزائر وأصبحت جزءًا منها، بينما أندريه جيد ظل يرى الجزائر مكانًا للإبداع والخيال فقط، دون أن يشعر بأنه ينتمي إليها فعليًا.

---

[3]. عبد الوهاب بوشليحة: النص وآفاق التأويل، دار المدى، الطبعة الثانية، 2019، الجزائر، ص11.

[1]. نادية محمود عبد الله: الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندريه جيد، عالم الفكر، العدد 4، 1جانفي 1983، م13، ص 96-97.

## ثالثا: تخييل إيزابيل في رواية "إيزابيل لسليم بتقة"

تتخذ رواية "إيزابيل" لسليم بتقة، الشخصية التاريخية لإيزابيل إيبرهارت بعدًا جديدًا يتجاوز حدود التاريخ التقليدي، حيث تصبح رمزًا للبحث الدائم عن الهوية والتحرر في ظلّ الاستعمار الفرنسي، بتقة الذي يحترم إرث إيزابيل الحقيقي، ويبدو أن سليم بتقة لا يتوقف عند تمجيد مغامرتها الشخصية، بل يسعى إلى إعادة تخيلها بطريقة تضفي عليها أبعادًا سردية تمزج بين الواقع والخيال.

يجد القارئ أن شخصية إيزابيل إيبرهارت أكثر من مجرد امرأة أوروبية مغامرة جاءت لاكتشاف الجزائر وثقافتها، إنها شخصية تعيش تمزقًا داخليًا واضحًا، تمثّل صراعًا حادًا بين انتمائها الثقافي الأوروبي، المحمّل بإرث استعماري، وبين انجذابها العميق لعالم الجزائر، ذلك العالم الذي كان آنذاك يمرّ بتحولات سياسية واجتماعية عميقة في ظل الاستعمار.

كما يُبرز السرد ملامح التمرد في هذه الشخصية، خاصة في لحظات الحوار والتفاعل مع الآخر، حيث تلوح بوادر التوتر الداخلي والتوق إلى التحرر. وقد عبّر العقيد ليوتي، في إحدى محادثاته معها، عن رؤيته لها باعتبارها شخصية متفردة ومتمردة على نمط الحياة التقليدي، وقد دار بينهما هذا الحوار:

"**إيزابيل: لا تنسوا جنابكم أني امرأة متزوجة...**

**يرد عليها قائلا: امرأة متزوجة وتنام وحدها خارجًا!**

**تقول: عندما ننام تحت النجوم، نشعر بأننا مشبعون بطاقة الأرض. وأنا بحاجة إلى هذه القوة الوحشية لمواصلة استكشافاتي**"[1]؛ يبين هذا الحوار التوتر بين الحرية الفردية والانتماء الاجتماعي، كما يكشف عن إحساس عميق بالاغتراب الذاتي، وإيزابيل لا تسعى فقط إلى فهم الآخر والعالم من حولها، بل تحاول إعادة تشكيل ذاتها، وكأنها في حالة هروب مستمر من هوية لم تعد تعبّر عنها.

كما إن سرد بتقة لا يقتصر على تصوير مغامرة امرأة تحاول الاندماج في بيئة غير مألوفة، بل يقدّم إيزابيل كرمز لصراع الهويات في حقبة استعمارية معقدة. إنها امرأة تبحث عن الحرية، لكن هذه الحرية تنشدها مقيدة بالأرض وبالذاكرة وبالصراعات السياسية التي لا تمنحها السلام الداخلي. ويتجلى ذلك في توترها المستمر بين رغبتها في الانتماء ورفضها لأي سلطة تحكمها.

[1]. سليم بتقة: رواية إيزابيل، دار علي بن زيد، ط1، 2024، ص 238.

لا تنتمي إيزابيل للمكان الذي أتت منه، ولا للمكان الذي قصدته. فهي في حالة عبور دائم بين الهويات، فقد "**خلقت إيزابيل شرقها الخاص قبل أن ترحل، ولكن هذا الشرق هو رؤية مثالية خالية من أي تفوق على الإطلاق. لذلك غادرت أوروبا التي لم تحبها، ورحلت للبحث عن عالم يشبهها**"[1]؛ هذه الجملة المفتاحية تعكس تمزقها الداخلي، وتضعنا أمام شخصية تنتمي إلى "شرق متخيل" تصنعه هي، لا تسكنه.

وهذا ما يجعل من إيزابيل رمزًا لصراع الذات المستعمِرة مع صورتها عن المستعمَر، ليس باعتباره الآخر فقط، بل كمرآة مقلوبة لهويتها المتصدعة. هي لا تبحث عن الحقيقة بقدر ما تبحث عن ذات ضائعة، عن حلم وجودي. في خط الزمن الذي ترسمه الرواية، كما تختلط أحداث الاستعمار مع الأحلام والذكريات، مما يجعل صعوبة في التفريق بين عالم الحقائق وعالم المتخيل، وبين الواقع والرغبة، وبين الشرق الحقيقي والشرق المتخيل.

وفي المقابل، يمنحنا الكاتب لحظات من السكون المحلي، كما في مشهد خوذير مع والدته حيث "**عاد خذير مساء ككل مرة، غير ملابسه وتوضأ، صلى العصر، ثم دخل غرفة والدته... قصت عليه كيف كانت ترش الملح على الأرض في وسط الدار، وفجأة توقفت ولم تستطع الاستمرار بسبب آلام الروماتيزم**"[2]؛ هذا المقطع يظهر استقرار خوذير مقابل ضياع إيزابيل، وهو مرتبط بأهله وأرضه، بينما هيا تائهة تبحث عن مكان تنتمي إليه.

تتنقل إيزابيل من كونها شخصية تاريخية ثابتة إلى شخصية روائية متقلبة، تتشكل حسب الظروف النفسية والمكانية التي تحيط بها. فوجودها في الجزائر، الذي كان مرآةً لاستعمار مستمر، يفرض عليها أن تعيش حالة من الازدواجية، فهي أوروبية الأصل، ولكنها في الوقت ذاته جزائرية في عواطفها وانتماءاتها، حيث تعيش في صراع داخلي دائم بين أن تكون جزءًا من هذا الوطن وبين أن تحافظ على هويتها الشخصية كأوروبية، هذا الصراع بين الهوية الذاتية والهوية الجمعية هو جوهر الرواية التي تنبش في صراعات التاريخ وتجد فيها ملاذًا للتخييل والرمزية.

يظهر هذا الانقسام الداخلي في أوجه وضوحه من خلال القول الاتي: "**عزيزي باريكاند... هذا يتبع مقالي الأخير من عين الصفراء، أسألك ألا تغير أية كلمة منه، إنها الحقيقة كما اكتشفتها هنا. أين المبادئ والأخلاق والعدالة، بينما الجثث تتراكم. مبادئ؟ هنا؟ أي رجل أحمق يرى المبادئ في المجاعة والتعذيب؟ لا توجد مبادئ، ولا يوجد شرف، فقط مرضى يتقاتلون في**

[1]. الرواية، ص 53.
[2]. الرواية، ص 53.

**الظلام.. لصوص غارقون في الدماء. عالم الشرف؟ هذه كذبة... لندع العر والفوضى يسودان حياتنا** "[1]؛ حيث يُظهر كيف فقدت إيزابيل ثقتها الكاملة في القيم التي كانت تؤمن بها، فالواقع القاسي الذي رأته جعلها ترى أن كل ما قيل عن الشرف والمبادئ كان مجرد وهم، وأن ما يحدث فعليًا هو العكس تمامًا من فوضى، وظلم، ومعاناة...

ومع ذلك، فإن قلبها لا يزال معلقًا بالناس وبالأمكنة، فهي في لحظة إنسانية مؤثرة "**دخلت على أطراف أصابعها إلى الغرفة حيث كان سليمان نائمًا... لقد أحبت ملازمته وأحبت صحبته، لكنها أرادت أيضًا أن يشعر بغيابها**"[2]؛ وهنا يتجلى الحنين والخوف في آنٍ واحد، وهما رمزان يتنازعان داخل روح إيزابيل، فالحنين إلى ارتباط حقيقي بالأرض الجديدة، والخوف من فقدان ما تبقّى من هويتها الأولى.

يمكن ان نقول ان إيزابيل في هذه الرواية ليست مجرد شخصية تاريخية، بل هي مفتاح لفهم الجزائر نفسها في تلك الحقبة الزمنية التي كانت تتشكل فيها هويتها السياسية والاجتماعية تحت وطأة الاستعمار، حيث تتحول إيزابيل من كونها شخصية مغامرة تحاول التفرد بوجودها إلى رمز جامع لما كانت تعيشه الجزائر من تحولات عنيفة بين الاستعمار والنضال من أجل الحرية. فاللحظات التي تعيشها في الرواية هي لحظات من العيش على حافة الهاوية، ما بين مقاومة الاستعمار وبين التعرف على الذات، وبين ما هو محكوم به تاريخيًا وما يتطلع إليه الخيال الأدبي. كما ان إيزابيل في رواية سليم بتقة هي مفترق طرق بين الحقيقة المتعددة والتخييل الذي يفتح أفقًا جديدًا للحرية .فهي شخصية مليئة بالغموض، تتنقل بين الذاكرة التاريخية والخيال الأدبي، مما يجعلها أحد أهم الرموز في الأدب الجزائري المعاصر الذي يعكس الصراع مع الهوية، الذي تعيشه الجزائر تحت وطأة الاستعمار.

## 1. إيزابيل المتخيلة

يُضيف الروائي إلى إيزابيل بعدًا شخصيًا ومعنويًا بعيدًا عما هو موجود في التاريخ، فهو لا يعرض فقط تفاصيل حياتها، بل يذهب إلى البحث في دوافعها، وهمومها الداخلية، وعلاقتها بمحيطها الجزائري، فالروائي يركّز على إيزابيل كفرد منفصل له حياته وتجاربه التي تمزج بين المغامرة الروحية والصراع مع الذات.

---

[1]. الرواية، ص 248.
[2]. الرواية، ص 248.

كما يظهر الراوي بشكل واضح في سرد الأحداث والوقائع من خلال صوت إيزابيل نفسها، الذي يُبدي تطورًا نفسيًا في الشخصية ويعرض مواقف مختلفة تجعل القارئ يشعر بأن إيزابيل ليست فقط الشخصية المعروفة في التاريخ، بل أيضًا إنسانة ذات مشاعر وأفكار وتوجهات عميقة.

ومن السمات البارزة في رواية سليم بتقة هي طريقة استحضار إيزابيل، حيث يضيف الروائي بعض الخصائص التي تجعل منها شخصية أكثر تخييلًا وتعقيدًا، نرى إيزابيل في الرواية أصبحت جزءًا من مسار إنساني أوسع، يتجسد فيه الصراع بين الذات والهوية، ففي بعض المواقف يتلاعب الروائي بالحدود الفاصلة بين التاريخ والخيال، ويخلق شخصية إيزابيل التي لا تعد فقط شخصية تاريخية، بل تتحول إلى رمز للبحث عن الذات في عالم مليء بالمتناقضات الثقافية، والسياسية، والإيديولوجية.

نجد أنها لم تعد مجرد امرأة جريئة تسعى لاكتشاف الجزائر، بل هي متمردة تسعى إلى البحث عن الحرية الشخصية في مجتمع مليء بالقيود الاجتماعية والسياسية. يتحول لبسها الرجالي في الرواية من مجرد أداة للتسلل في المجتمع الاستعماري إلى رمز لمقاومة الواقع، إذ إن الملابس في رواية بتقة تحمل في طياتها دلالة أعمق من مجرد كونها وسيلة للتنكر، بل هي بمثابة علامة على التغيير الجذري في الهوية، تمزج بين الأنوثة والذكورة في صراع داخلي مستمر . وكذلك ترمز الى رغبة ايزابيل في التحرك بحرية وسط المجتمعات

كما نجد تغير الاسم في الرواية الى سي محمد السعدي، إلى بحثها المستمر عن هويتها الخاصة وسط مجتمع يحمل تاريخًا معقدًا وأزمات متشابكة بين الاستعمار والمقاومة. الرواية، من خلال هذا التحول، تُبرز القلق الداخلي لإيزابيل، الذي يعكس حالة الجزائر ذاتها أثناء الاحتلال الفرنسي، حيث كانت تسعى للبحث عن هوية تليق بها، وسط سيل من التناقضات والضغوط الداخلية والخارجية. الاسم الجديد لا يمثل إجابة نهائية على تلك التساؤلات، بل هو إشارة إلى رحلتها الداخلية التي لا تنتهي، بحثًا عن مكان تتبناه في هذا الوطن الغريب عنها في الظاهر لكن الذي يسكنها في الأعماق[1].

كما نلاحظ أنها لم تتخلى عن هويتها الغربية، بل سعت لأن تتقمص هويات متعددة يمكن أن تعيش بها في هذا العالم الجديد (العالم الشرقي)، فربما لم تكن تجد الراحة الكاملة في اسم "سي محمد" لكن هذا الاسم يمثل محاولة للتماهي مع الجزائر، بالرغم من كل التحديات التي كانت تقف

[1]. ينظر: الرواية، ص157

في طريقها، يصبح الاسم إذن جزءًا من الصراع الداخلي لإيزابيل، الذي لا يهدأ، ويظل مفتوحًا على كل الاحتمالات.

## 2. الفرق بين إيزابيل التاريخية وإيزابيل المتخيل:

أ. **إيزابيل التاريخية** :الشخصية الحقيقية التي عاشت بين عامي 1877 و1904، كانت صحفية وكاتبة مغامرة توفيت في ظروف غامضة في الجزائر، وكانت تُعتبر في بعض الأوساط مستشرقة وجاسوسة، على الرغم من أنها لم تكن تقتصر على ذلك فحسب، بل كانت تُعبر عن رغبة في التعايش مع المجتمع الجزائري وثقافته.

ب. **إيزابيل في الرواية:** تُقدّم إيزابيل في الرواية من منظور سردي خيالي يتجاوز الصورة التاريخية الجافة إلى شخصية أكثر تعقيدًا، وتتمتع شخصية إيزابيل في الرواية بأبعاد روحية ونفسية تجعلها ليست فقط امرأة مغامرة، بل إنسانًا يعاني من صراع داخلي عميق بين انتمائها للمجتمع الغربي واندماجها في المجتمع الجزائري.

لقد كانت إيزابيل التاريخية امرأة تمثل التمرد على القيود الاجتماعية وعاشقة للحرية، وفي المقابل إيزابيل الرواية تجسد الروح الجزائرية في مرحلة صراع الهوية والوجود، فالرواية تتجاوز التاريخ لتطرح شخصية مركبة، مليئة بالآلام، والذكريات، والتخيلات التي تجعل منها رمزًا للجزائر في حربها ضد الاستعمار وتحدياتها المستمرة في مواجهة الجغرافيا والهويات المتناقضة.، إذن إيزابيل الرواية هي مرآة لمرحلة تاريخية وحالة إنسانية تتجاوز حدود الزمن والمكان.

إضافة إلى ذلك، تقدّم الرواية شخصية إيزابيل ضمن قالب السيرة الغيرية، حيث يُستعرض بداخلها الشعور بالضياع والانتماء المزدوج، وهو ما يعكس الصراع الذي عاشته في حياتها الشخصية بعيدًا عن التاريخ الرسمي الذي كان يضعها في قالب مستشرقة أو جاسوسة.

## ثالثا: الخطاب الاستعماري

يُعد الخطاب الاستعماري أحد أهم المكونات السردية التي تحضر بقوة في الأدب ما بعد الكولونيالي، لكونه يعكس الصراع التاريخي والسياسي بين المستعمر والمستعمَر. وفي رواية إيزابيل للكاتب الجزائري سليم بتقة يتجلى هذا الخطاب من خلال شبكة متداخلة من الشخصيات والأماكن والرموز التي تنتمي إلى الفضاء الكولونيالي الفرنسي في الجزائر، حيث يوظّف الكاتب هذه العناصر ليس فقط لإعادة بناء زمن الاستعمار، بل لكشف بنية القمع والهيمنة التي مارسها، مع إبراز آثاره النفسية والثقافية على الفرد الجزائري وحتى على الشخصية المحورية إيزابيل إيبرهارت التي تمثل بدورها حالةً معقّدة بين الانتماء والرفض.

يُقرأ هذا الخطاب بوصفه خلفية إيديولوجية تُحرك السرد وتوجّهه، من خلال استحضار شخصيات ذات وظائف استعمارية مباشرة أو رمزية، ومواقع تتحول إلى فضاءات للسلطة، ما يجعل الرواية شهادة أدبية على طبيعة التغلغل الاستعماري، وكيفية مقاومته سرديًا عبر خطاب مضاد يُعاكسه ويكشف تناقضاته.

ففي إطار تحليل **الخطاب الاستعماري** ضمن رواية إيزابيل لسليم بتقة، يظهر هذا الخطاب من خلال استحضار الشخصيات والأماكن المرتبطة بالمؤسسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وقد سعى الروائي إلى تجسيد هذا الخطاب عبر شخصيات منها التاريخية ومنها المتخيلة.

### 1. الشخصيات الاستعمارية:

تمثل هذه الشخصيات أدوات الاستعمار وممثليه المباشرين وغير المباشرين، وقد لعب كل واحد منهم دورًا في ترسيخ الهيمنة الفرنسية على الجزائر أو المساهمة في الخطاب المهيمن من خلال الممارسة اليومية، أو من خلال العمل الإداري أو الفني أو الطبي في الرواية

- **العقيد ليوتي:** وهو شخصية عسكرية استعمارية تمثل تجسد نموذج القائد المنضبط، والحذر والمسؤول يتميز بتفكيره العقلاني واستراتيجيته الدقيقة في التعامل مع الأوضاع الميدانية يقول ليوتي: "**إذا كنتم ستفقدون أعصابكم، عليكم الانضمام إلينا لتناول الغداء معنا.**" **وهذا ما يسمى "بالاستعمار الذكي"**[1]؛ هنا تبرز شخصية لوتي التي لا تستخدم العنف، او القوة المباشرة بل تفضل أسلوب الادماج التدريجي والتأثير الثقافي العميق، كما تجمع بين الصرامة والاتزان وبين السلطة والرؤية الواقعية، مما يجعله رمزاً للقائد العسكري الذي يوازن بين المنطق والواقع

[1]. الرواية، ص 236.

الذي يتحرك فيه. كما نذكر أيضا علاقته مع إيزابيل حيث يظهر لها الاحترام والإعجاب بذكائها حتى وان اختلف معها لكن يقوم بضبط الأمور، ضمن حدود النظام العسكري.

- **مارسيال جان جان:** حيث جاء في الرواية حديث عنه: " **كان مارسيال جان _جان شخصية في الخمسين من العمر مهيبة البنية وودودة، وتمتلك الاخلاق المهذبة لهذا النوع المنقرض منذ زمن ....**" [1]. وأيضا: "**من حين لأخر يقوم جان جان بجولة تفتيش للغرف، والتي في العادة يتم الحفاظ عليها...**" [2]. ويتحدث مع إيزابيل قائلا: "**إيزابيل اليس كذلك؟ انا جان–جان مدير الفندق...**"[3]؛ فهو شخصية صاحب فندق تعمل كمدير للفندق، يهتم بنظافة الغرف ونظام المكان، ويقوم أحيانًا بجولات تفتيش، يتميز باللطف والاحترام، خاصة عندما يرحب بإيزابيل والزبائن، لكن خلف هذا المظهر الهادئ، هو يمثل وجهًا ناعمًا من الاستعمار، لأنه يراقب كل شيء ويسيطر على المكان بطريقة هادئة، وكأن كل شيء يجب أن يكون تحت نظره وهو بهذه الطريقة، هو رمز للسلطة التي تتحكم دون أن تظهر بشكل مباشر أو عنيف.
- **ماريشال:** هو شخصية بسيطة كان يعمل في فندق الصحراء وهو يقوم بدور استقبال الزبائن فقط اذ لم يتم ذكره إلا في صفحة واحدة من الرواية حيث حاول الروائي ان يبرز قيمته ودور في استقبال الزبائن في الفندق حيث جاء في الرواية: "**عند قاعة الاستقبال، يقف من بدا للوهلة الأولى وكأنه ماريشال...رجل بزي ذهبي وزخارف تزيين صدره العريض، يستقبل الزبائن بإهتمام، خاصة أولئك الذين يعانون من صعوبات الروماتيزمية، ويقودهم بعناية إلى أعلى درجات، ويرشدهم إلى الغرف الصامتة، من الطبيعي أن ينتشر الذباب في هذا الفصل الحار، فالروائح الرطبة المنبعثة من مناخ الجمال، وموقف عربات الخيول تجلبها إليها فتلغ بنهم في ماقيها وفي جروح ظهورها، كل هذا لا يضيق به السياح، الأغنياء الذين يكونون قد نجوا من غزو المتسولين والباعة إبتدا من محطة القطار إلى أن يصلوا باب الفندق**"[4]؛ فهو يظهر من خلال لباس الرجل الفاخر والمزين، الذي يعطيه هيبة وإنطباعا أكبر من حقيقته فهو جزء من الصورة المزيّفة التي يقدّمها المكان لإبهار الزبائن.
- **برناديت:** هي شخصية تعمل كخادمة في فندق الصحراء، ولدت في عائلة بسيطة وهي من بين الفتيات الجميلات والساحرات، لم تكن لديها أمال برجل ثري ومتميز وانما كانت مستسلمة

[1]. الرواية، ص12.
[2]. الرواية، ص45.
[3]. الرواية، ص101.
[4]. الرواية، ص 13.

لحياتها، تزوجت من شخص عاطل عن العمل، وكانت دائما تردد مقولة: **"ليس هنالك ما هو أكثر إذلالا من ان تبدو فقيرا بين نساء ثريات"**[1]. كما جاء في الرواية حديث عنها: **"من شرفة الغرفة ... كانت برناديت تتابع بنظراتها الفاتنة ليونور بصحبة الماركيز ذي المظهر الأرستقراطي، وهما يسيران في الممر المؤدي إلى الغرف..."**[2]؛ حيث كانت برناديت تتأمل في زوجة الماركيز دي موريس وتمقتها بنظراتها الغير عادية، المليئة بالغيرة والحسد، حيث كانت تنظر إلى ليونور كمن يتمنى أن يعيش نفس حياتها الراقية والمرفهة. وهنا يظهر التفاوت الطبقي بين النساء داخل الفضاء الاستعماري، حيث تنظر إحداهن للأخرى كمثال لحياة لا تملكها، لكنها تتمناها.

- **الماركيز دي موريس:** جاء في الرواية حديث عنه، حيث: **"في الغرفة المجاورة انتهى الماركيز من ارتداء لباسه العسكري الصيفي..."** وقد..."**اعتاد الماركيز الخوض في السياسة والمغامرات في كل مرة يلتقي فيها نزلاء جدد من الفرنسيين والالمان خاصة ...فكان يفتخر بغرور وتعال بجرائمه التي ارتكبها ضد الأهالي العزل حين أرسل بعثة عسكرية وعن "حزب الجزائر المعادي للسامية" حديثا طويلا حتى السأم**[3]؛ فهو يمثل النخبة الاستعمارية في أبّهى مظاهرها، رجل أرستقراطي، متعالٍ، يحمل في نظراته فكر التفوق العرقي والثقافي، حيث لا يرى في الجزائر سوى مجال لتجسيد "المهمة الحضارية" التي جاء بها الغرب، وهو الاستعمار المتغطرس، المتعجرف، المتجذر في عنصرية مؤسسية، اذ كان يترأس حملة من اجل التفاوض حيث : **"كان الماركيز يقود حملة هدفها التفاوض على حرية القوافل القادمة من السودان وسد الباب أمام الانجليز لتنفيذ هذا المشروع، وفور وصول الخبر الى المكتب العسكري بقبيلي في تونس، أرسل القائد روبيليه لإحضار جثته وجثة المترجم المرافق له "**[4]؛ وقد كانت نهايته من طرف الطوارق في منطقة اوسية لأنه كشف جرائم الاستعمار الفرنسي، ووقف ضد مخططاته، وبما أن نشاطه أثار قلق السلطات، فقد اعتبرته عائقا يجب التخلص منه.
- **ليونور:** وهي شخصية فرنسية تنجذب إلى الشرق لا حبًا فيه، بل افتتانًا غريبًا مبنيًا على التملك الثقافي وتعكس بوضوح الكيفية التي ينظر بها الغرب إلى الشرق ككائن غرائبي جميل وجاء حديث في الرواية يقول: **"أما ليونور فهذه الرحلة من رجل لا تحبه، لذا كان رتشاردسون الذي**

---

[1]. الرواية، ص 15.
[2]. الرواية، ص 27.
[3]. ينظر: الرواية، ص 33.
[4]. الرواية، ص 163.

**يريد أن يزوجها العذاب، أن تنعم بالهدوء والأمن مستعدة لفعل أي شيء، بعيدا عن العذاب أن تنعم بالهدوء ة الأمن، وتلقي بنفسها في أحضان طبيعة حانية، تشبع عينيها من النهار المشمس والليل المقمر. وجدت ليونور في هذه الرحلة اليائسة نفسها ضائعة وبحاجة الى رجل يتمتع بكل عوامل الجذب لمساعدتها، في هذه المحنة لأنها تعلم أن والدها سيرسل إليها بالفعل من يبحث عنها لإعادتها إلى الديار**"[1]؛ حيث تُروى قصتها كفتاة هاربة من سلطة والدها، تبحث عن الأمان في الجزائر، حيث وجدت في الطبيعة الدافئة ملجأ يعوضها عن حياة البرد والعذاب وتجد في أحد الماركيزات فرصة للهرب والمغامرة.

- **الملازم أوجين:** الملازم اوجين هو شخصية عسكرية يعمل في "**مكتب الشؤون العربية**"[2]؛ يتعامل مع الجزائر كملف إداري، كما كانت تربطه علاقة مع ايزابيل. وقد: "...**تأسف أوجين كثيرا، وهو يضغط على صفحات الديوان يغالب دموعه، وهو الذي ظل في رسائله يضفي من عذوبة روحه، وسحر حديثه، وذوب قلبه. ما أقساك يا إيزابيل؟**"[3]؛ وهو ما يكشف حجم الندم والتأثر العاطفي الذي تركته إيزابيل في نفسه، فقد بدت رسالته مليئة بالحزن، وعباراته تحمل العديد من المشاعر، ولعل هذا ما يفسر قولها: "**اليوم هو موعد لقائي بالملازم أوجين ...عرفته من خلال بذلته العسكرية الخاصة بالفيلق الأجنبي ...**"[4]؛ هذا يبين أن العلاقة بينهما لم تنقطع وجدانيا، بل بقيت حاضرة في ذاكرتها، تستعيدها وكأنها جزء لم يُغلق من حياتها.
- **النقيب سوسبيال:** جاء في الرواية حديث عنه حيث: " **كان النقيب سوسبيال واقفا مرتديا الزي العسكري..**"[5]؛ فهو هو ضابط فرنسي يرمز في الرواية إلى القمع العسكري المباشر، ويجسد صورة العنف الاستعماري المجرد من كل قناع، كان حضوره في النص مكثف ومشحون بالسخرية والازدراء، يعبر عن الوجه العدواني للاستعمار الذي لا يتردد في استخدام القوة لفرض السيطرة. لا يظهر تعاطفًا ولا مراوغة، بل يمثل الاستعمار في أبسط أشكاله وأكثرها وحشية. كان يرافق إيزابيل في مهامها، مشاركًا في مشاريع استكشاف الصحراء، من منطلق يخلو من البعد الإنساني، ويعتمد فقط على رؤية استعمارية مادية، وكان مكروها من قبل الجزائريين.

---

[1]. الرواية، ص 27.
[2]. الرواية، ص 60.
[3]. الرواية، ص 64.
[4]. الرواية، ص 62.
[5]. الرواية، ص 221.

- **الملازم الأول بلات:** وردت شخصية النقيب بلات الأول في حوار بين سوسبيال وايزابيل يحذرها من الأهالي كونها اتخذت من خوذير مرشدا لها ويرد ذلك في عبارة: "**من العار ان يكون لك مرشد من السكان المحليين يجوب معك الفيافي انها فضيحة ... الا تعلمين بأن الملازم الأول بلات قد تم اغتياله من طرف مرشدين من الأهالي ...**"[1]؛ هنا يظهر بوضوح النظرة الاستعلائية والاستعمارية التي يحملها بلات اتجاه الأهالي، فهو يعتبر مجرد الاستعانة بأحدهم "فضيحة"، تمس مكانته كضابط فرنسي، وهذا ما يعكس العقلية الاستعمارية التي ترى أن الأخر مجرد تابع لا يستحق الاحترام أو الثقة.
- **النقيب كوفي:** النقيب كوفي هو نقيب يعمل لدى السلطة الفرنسية، وهو نموذج لضابط فرنسي منغمس في تفاصيل الاحتلال، يتصرف كمن يملك الأرض ومن عليها.
  - تقول ايزابيل: "**هل انا رهن الاعتقال؟**
  - أحد الضباط: **لا...إنه مجرد إجراء روتيني.**
  - ترد إيزابيل: **أين أجد النقيب كوف؟**

يرد عليها: **في مكتبه...**"[2]. وقد.." **كان للنقيب كوفي عدة طرق لفرض إرادته فأحيانا كان يفعل ذلك**

**بعنف كما في المشهد السابق، وأحيانا بلطف يخفي تحته وحشا ودودا، بعدها أدخلني الجندي، وكان قد استولى على الخوف بعد الذي شاهدته رائحة المكتب من الأوراق المتربة تفوح، كان النقيب يقف وراءه غليونه. الرفوف مملوءة بوثائق وخرائط وقواميس عربية فرنسية...وكانت على الأرض أكوام من الصحف والمجلات القديمة....**"[3]؛ فهو شخصية قوية ومخيفة في نفس الوقت، يوصف بفرض إرادته بطرق مختلفة، وهذا يرمز الي سيطرة النظام الاستعماري، ويعكس شعور ايزابيل بالخوف والضعف أمام هيبته.

- **الملازم كولت:** يظهر في الرواية كشخصية مترددة ومربكة، يعمل كملازم أول تحت قيادة الملازم كوفي في السلطة العسكرية الفرنسية، ويظهر في حواراته تردد بين الأوامر العسكرية والانصات للضمير، كان يحاول فهم ايزابيل ويسألها عن سبب وجودها وعلاقتها بالمقاومين كان يكره العرب ويتهمهم بالقتلة ويرد ذلك في قوله: "**إنهم لصوص وقتلة لا يحبون شيئا أكثر**

[1]. الرواية، ص 133.
[2]. الرواية، ص 145.
[3]. الرواية، ص 146.

**من قضاة وقتهم في قتل بعضهم البعض "**[1]؛ ويظهر عليه نوع من التعاطف اتجاه ايزابيل لكن في لحظة غضب يفقد السيطرة ويصفعها، وهذا ما يكشف صراعه الداخلي بين انسانيته وبين واجبه كضابط.. ويظهر ذلك في: **"ما هذا التخريف أيها الملازم؟ أهوى على وجهها بصفعة قوية..."**[2].

**كما يمكن أن نذكر بعض الشخصيات التي تحيل إلى الخطاب الاستعماري:**

- **أندريه جيد:** تظهر شخصية أندريه جيد كما تظهر في الرواية تبدو مركبة، فهو كاتب، ومثقف ومتأمل، ومنفتح على الآخر، لكنه أيضًا غامض ومليء بالتناقضات، يهوى المراقبة الصامتة ويستمتع بالتفاصيل الصغيرة، مما يدل على رغبة داخلية في الفهم العميق للحياة والناس، كما أن له ميولا فلسفية وروحية تظهر في حواره وسلوكه ويظهر ذلك في: " **كان من عادة أندري جيد حين يهم الى المقهى دعوة الأولاد في حي المسيد ... يكون خذير عادة في انتظاره فيركب العربة، ويمضي به ..."**[3]؛ أما علاقته بإيزابيل، فهي تبدو علاقة ودّ واحترام، ولكنها أيضًا غير تقليدية، فيها نوع من الانفصال العاطفي والحرية المتبادلة. يقترح عليها أن تتخذ "خوذير" مرشدًا، رغم أنه يعرف أن خوذير عربي وهي فرنسية، مما يعكس عدم تمسكه بالفكر الاستعماري السائد آنذاك، بل على العكس، يُظهر انفتاحًا على الثقافات الأخرى وثقة في قدرة "العربي" على الإرشاد والفهم .قوله لها أن تذهب إلى "**رجل عربي**" وليس "**أجنبيًا**" ويظهر ذلك في قوله: " **نعم هناك خذير أحسن مرشد سياحي في نظري، يمكنه ان يأخذك الى أي مكان تودين الذهاب إليه..."**[4]؛ بعيدًا عن رؤية أوروبية فوقية. وهذا يُظهر أيضًا أنه ينتقد بعض التصورات الغربية النمطية عن الشرق، ويحثّ على تجربة أكثر صدقًا وعمقًا في فهم الآخر.
- **سير وليام:** تظهر شخصية وليام في هذه الرواية كشخص أجنبي انجليزي محافظ، يتصف بالاحترام واللباقة والجدية كما يتمتع بثقافة واسعة واطلاع سياسي، ويتعامل مع الاخرين بلطف رغم اصوله الأجنبية، فهو لا يتعال على العرب بل يحترم ويقدر ثقافتهم، في حين يبدي موقف اتجاه الفرنسين ويمقتهم أكثر مما يحب أهل البلاد. حضوره يبرز الوجه الآخر للصراع

[1]. الرواية، ص 189.
[2]. الرواية، ص189.
[3]. الرواية، ص 40.
[4]. الرواية، ص109.

الاستعماري: التنافس الأوروبي في المستعمرات، لا حبًا فيها، بل لنهبها على نحو أنيق ومما يصرح به أنه: "**نعم لولا هؤلاء الحمقى الفرنسين المزعجين..**"[1]. وأيضا: "**هؤلاء الفرنسيون قطيع معتوه، والذين يقودونه أغبياء ...ربما هذه نظرتنا نحن الانجليز سير وليام، نظرا للعدا التاريخي بيننا** ..."[2]؛ فهو لا يُخفي احتقاره للفرنسيين رغم كونه أجنبيًا هو الآخر، كلامه يكشف عن جانب مهم من الصراع الاستعماري، حيث لا يتعلّق الأمر فقط بسيطرة الأوروبيين على المستعمرات، بل أيضًا بالتنافس بينهم على من ينهبها "بشكل أفضل.

**كما تظهر هذه الشخصيات عرضًا، لكنها بمثابة مضمر خفي يكمل صورة المشهد الاستعماري ونذكر منها:**

- **هلموت فون مولنكي:** وهو شخصية لم يكن لها دور فعال في الرواية، ذكر كمعجب لإيزابيل[3].
- **إتيان بانوصي:** هو رئيس حلقة أصدقاء الصحراء، توفي جراء سقوطه من عربة خوذير في المستشفى لم يكن له دور فعال في الرواية[4].
- **النقيب زيمرمان:** شخصية كانت تحقق في محاولة الاعتداء على شخصية إيزابيل[5].
- **الدكتور طاست:** هو شخصية طبية في الرواية، يعمل كطبيب فرنسي في المستشفى الذي نقلت إليه إيزابيل لكنه ليس الطبيب المعالج لها مباشرة يظهر في دور اشرافي أو اداري، ومن خلال حواره مع إيزابيل يتبين لنا انه شخصية محترفة، متزنة، ومحافظة، يمثل صورة الطبيب الجاد في أوقات الحرب[6].
- **الملازم لوفيفير:** وهو صديق طاست قام بعلاج إيزابيل يجسد نموذجا للطبيب الإنساني المخلص لمهنته يتميز بضميره المهني العالي وتعاطفه العميق مع المرضى حيث يبذل جهده بكل تفان لعلاجهم، يتعامل مع الجميع بلطف واحترام، دون تمييز مما يعكس انسانيته الصادقة وقد تأثر بموت إيزابيل ويظهر ذلك في الرواية حيث: "**انحني الطبيب لوفيفر على جسد إيزابيل وهي ترجف.. النبض سريع، الحمى، والصداع والغثيان، والقيء... كان يشك في الأمر، لكن**

---

[1]. الرواية، ص71.
[2]. الرواية، ص72.
[3]. الرواية، ص 46، ص 73.
[4]. الرواية، ص 75.
[5]. الرواية، ص 222.
[6]. الرواية، ص 210-211.

**الفحص أكد له ما كان يخشاه: لقد كانت الملاريا"**[1]؛ فهو ما يكشف عن عمق إحساسه وصدق عاطفته، حتى عندما يحاول التماسك بهذا، يمثّل الطبيب طاست رمزًا للنبل الإنساني في زمن الحرب والمأساة.

- **ارملة الماركيز دي موريس:** هي شخصية ثانوية لكنها مؤثرة في خلفية الأحداث، حيث قامت بإعطاء المال الى ايزابيل بطلب شخصي للمساهمة في التحقيق بمقتل زوجها في الصحراء. ورغم أن الدافع الظاهري قد يُظن أنه طلب للعدالة أو القصاص، إلا أن الراوي يوضح أن مقصدها الحقيقي لم يكن الانتقام، بل ربما البحث عن الحقيقة، ما يضفي على شخصيتها بُعدًا إنسانيًا وروحيًا يتجاوز مجرد الرغبة في الثأر ويظهر ذلك في الرواية من خلال القول الاتي: **"نعم، هل نسيت ما حدثتك عنه سابقا المال الذي اعطتني إياه أرملة الماركيز دي موريس .. للتحقيق في مقتل زوجها بالصحراء... ليس هنالك ما يدعو للقلق.."**[2].
- **إتيان دينه:** يتسم بالتواضع، والارتباط العميق بالجزائر وثقافتها وسكانها، وهو فنان فرنسي اختار أن يعيش في الصحراء الجزائرية، حيث وجد فيها السلام والسعادة، وأصبح جزءًا من المجتمع الذي عاش فيه، وتبنّى كما يظهر تعلقه بأهل الصحراء واندماجه في ثقافتهم من خلال قوله: **"فسكان بوسعادة يشبهون سكان الصحراء، في تعلقهم بالعادات والتقاليد..."**[3]؛ ويشير أيضًا إلى تبنّيه القيم الروحية والدينية التي وجدها هناك كما يكشف عن عمق التزامه بالقضية الجزائرية عندما يقول الملازم كولت محذراً: **"سيشك فيك القوم بأنك عميلة، تعملين لصالح الجيش الفرنسي** "[4]؛ وهو تصريح يؤكد أن دينيه كان على النقيض، أي مساندًا للجزائريين ضد الاحتلال.
- **الرائد بيجات:** هو شخصية عسكرية تمثل السلطة الاستعمارية الفرنسية في الرواية، يتميز بتسلطه وصرامته، إذ يوظف منصبه لاتخاذ قرارات حاسمة تمس حياة الأفراد، خاصة عندما يتعلق الأمر باستقرار السلطة الاستعمارية، يظهر دوره بوضوح، حيث يرد في الرواية:"**...استقرار على السلطات الاستعمارية، تتطلب اتخاذ تدابير فورية** "[5]؛ ويطلب بتطبيق التدابير فيما يخص **مراقبة السيدة إيبرهارت** ذلك يدل على أنه يعتبر نفسه وصياً على الأمن

---

[1]. الرواية، ص 252.
[2]. الرواية، ص 83.
[3]. الرواية، ص 193.
[4]. الرواية، ص 195.
[5]. الرواية، ص 168.

والنظام، حتى لو تطلب الأمر مراقبة المقربين منه .كما يظهر أن بيجات يشك في نوايا بعض الشخصيات العربية، ويؤمن أن هناك خطرًا على الحكم الاستعماري، مما يجعله يطالب بتشديد الرقابة: "**بعض العرب هم علامة على...**"[1]؛ ثم يصفهم بشكل يوحي بعدم الثقة، مما يبين طبيعته الاستعمارية الشكاكة عموما الرائد بيجات هو صورة عن السلطة الاستعمارية المتسلطة يسعى إلى ضبط كل ما يهدد نفوذ الفرنسيين في الجزائر، حتى لو كان على حساب العلاقات الإنسانية أو الخصوصيات الفردية.

- **الحاكم راندو:** هو شخصية تمثل السلطة الاستعمارية العليا في المنطقة، ويظهر من خلال هذه الصفحات كرجل إداري صارم، يمارس سلطته عبر التعليمات والمراقبة، ويتعامل مع الأمور ببيروقراطية مفرطة وروح استعمارية باردة، دون مراعاة كبيرة للجوانب الإنسانية أو الثقافية للمجتمع المحلي[2].
- **العقيد لوستال:** هو شخصية عسكرية فرنسية منتمية للنظام الاستعماري، يمثّل الروح الكولونيالية الباردة، ولم يكن له دور فعال في الرواية[3].
- **النقيب دي جونشاي:** شخصية استعمارية، لم يكن لها دور فعال في الرواية[4].
- **ريمون ماريفال:** "شخصية استعمارية، لم يكن لها دور فعال في الرواية[5].

رغم أن هذه الشخصيات لم تكن مهمة في أحداث الرواية، إلا أن وجودها يوضح لنا أن الاستعمار كان حاضرًا في كل زاوية، فهي شخصيات تمثل السلطة، لكنها لا تظهر بشكل مباشر أو مؤثر، بل تبقى في الخلفية، وكأنها تذكّرنا بأن الاستعمار لم يكن فقط بالقوة والقرارات، بل أيضًا بأشخاص يظهرون دون أن يكون لهم دور كبير، لكنهم جزء من الصورة العامة للمشهد الاستعماري.

## 2. الفضاء الاستعمارية

ليست الأماكن في الرواية الاستعمارية مجرد مساحات مادية تُرسم في الجغرافيا، بل هي رموز ناطقة وشواهد صامتة على صراع الهيمنة والهوية. تتحول هذه الفضاءات إلى أدوات خطابية

---

[1]. الرواية، ص169.
[2]. الرواية، ص262، ص227-229.
[3]. الرواية، ص 235.
[4]. الرواية، ص 236.
[5]. الرواية، ص 231.

دقيقة، تمارس سلطة رمزية تتجاوز الجدران والحجارة، إلى النفاذ في الوعي الجمعي للمستعمَر حيث تُزيَّن بطلاء التمدّن الغربي وتُفرض بوصفها نماذج للرقي والتحضر، فيما تخفي تحت لمعانها قناع الإخضاع الثقافي ومحو الذات. هكذا تُعاد صياغة المكان ليكون مسرحًا لفرض الهيمنة، ومنصة لعرض التفوق المدَّعى، ومختبرًا لتحويل الإنسان المستعمَر إلى مجرد متلقٍ خاضع لحضارة دخيلة تسعى لتقويض كل ما هو محلي وأصيل. والسؤال، كيف تحضُر هذه الأماكن في رواية إيزابيل باعتبارها نصاً مضاداً للأطروحة الاستعمارية.

- **شارع بارت:** يرمز شارع بارت في الرواية الى الحياة المدنية الفرنسية من جهة، وللوجود الاستعماري الفرنسي من جهة أخرى وهذا يظهر من خلال: "**إنها نفس الغرفة التي تطل على شارع بارت النابض بالحياة، حيث تمتد المحلات التجارية والمقاهي، وأكشاك الزهور**"[1]؛ هذه العبارة تصف شارع بارت من زاوية يومية ومعيشة، حيث يظهر الشارع كمكان حيوي يعج بالحياة، بالتجارة والمارة والمظاهر المدنية، ويظهره هنا الجانب الجمالي والمدني للحياة الفرنسية حيث المحلات وأكشاك الزهور ترمز إلى الازدهار، والنظام، والحياة الحضرية. كما أن وصف الغرفة التي تطل على الشارع يربط بين الخاص (الغرفة) والعام (الشارع)، مما يعكس امتزاج الشخصي بالجماعي في الحياة الاستعمارية أو المدنية.

أيضا: "**في هذا اليوم الموافق 14جويلية، ظل شارع بارت يحشد الجمع الغفير من الفرنسيين وقد اصطفو على طول الطريق لمشاهدة الاستعراضات المخلدة للثورة الفرنسية..**"[2]؛ وهنا يكشف هذا القول المفارقة حيث تخلد فرنسا مبادئ الثورة (الحرية، المساواة) على أرض مُستَعمَرة ليست ملكها.

- **فندق الصحراء:** لا يُنظر إلى الفندق كمكان مجرد للإقامة أو الراحة، بل يتحول إلى فضاء رمزي يتجسد فيه الصراع بين الثقافات والطبقات الاجتماعية في الجزائر، يقع في قلب المدينة الكولونيالية، يُبرز الفجوة العميقة بين الأوروبيين الذين يقيمون فيه وبين السكان المحليين الذين يتم تهميشهم، وهو بذلك يمثل نقطة التقاء وتنافر في آنٍ واحد.

[1]. الرواية، ص 28.
[2]. الرواية، ص 71.

ويوصف فندق الصحراء في الرواية بأنه "**يقع وسط المدينة الكولونيالية، مقابل الحديقة العمومية، في شارع بارت، ملتقى السكان الأوروبيين والسياح الأجانب**"[1]؛ هذه المكانة الجغرافية لا تقتصر على الجانب المادي، بل تمتد إلى رمزية المكان كحد فاصل بين العالمين: عالم المستعمر الأوروبي وعالم السكان الأصليين كما يقدم سليم بتقة الفندق كما لو كان قصرًا صغيرًا من عصر لويس الرابع عشر، يمتد فيه الصالون الشاسع ذي الأقواس الفخمة، حيث تتلألأ دلاء الفحم النحاسية، وتملأ المدافئ المرممة أجواء الحميمية والرفاهية، مؤكدًا على التناقض بين الفخامة الأوروبية وواقع المدينة المحيطة التي تشهد الاستعمار ومراراته.

يبدو فندق الصحراء كأنه " **فضاءٌ خارج الزمن، مكان تجتمع فيه الذاكرة والهوية والحياة الاجتماعية في مشهد متداخل، يعكس صراع الشخصيات، ولا سيما إيزابيل نفسها، التي تعيش ازدواجية الهوية بين كونها أوروبية الأصل وارتباطها العاطفي العميق بالجزائر.** "[2]. وأيضا: "**في الداخل، يشعر الزائر لفندق الصحراء لأول مرة بلمسة من القلق، إحساس بأنه يدخل عالما متلاشيا، كأنه يُنقل خارج الزمن، في فرنسا لويس الرابع عشر**"[3]؛ وبهذا يتحول الفندق إلى أكثر من مجرد مكان إقامة، بل يصبح مسرحًا للأحداث النفسية والاجتماعية والسياسية التي تعكس تعقيدات الهوية في زمن الاستعمار، حيث تتقاطع السلطة بالذاكرة والحضور بالمكان، في فضاء يشهد باستمرار على ثنائية الاستعمار والاستعمار المضاد.

- **المستشفى العسكري:** في رواية إيزابيل، لا يأتي كمجرد مؤسسة صحية بل كرمز استعماري يحمل دلالة عميقة على الإحلال القسري للطب الغربي مكان الطب التقليدي المحلي، حيث يتجلى الخطاب العلمي الاستعماري بكل وضوح، ساعيًا إلى فرض سلطته لا فقط على الجسد بل على الروح كذلك، في محاولة لإعادة تشكيل الإنسان وفق منظوره العقلاني والتفوقي فالمستشفى العسكري ليس مكانًا للشفاء بل فضاء لمحو الآخر ومراقبته، وهو ما تؤكده أحداث الرواية[4].
- **مقهى الصحراء:** هو من أبرز المعالم التي تجذب الانتباه في الرواية، ليس فقط كمكان للإقامة بل كفضاء رمزي تتقاطع فيه العلاقات الاجتماعية والنفسية. يمثّل الفندق نقطة التقاء بين عوالم متناقضة: الرسمي والحميمي، العام والخاص، الراقي والشعبي. وبمحاذاة الفندق يقع مقهى

[1]. الرواية، ص 13.
[2]. الرواية، ص 14.
[3]. الرواية، ص 15.
[4]. الرواية، ص 209.

الصحراء، الذي يتجاوز كونه مجرد مكان للجلوس أو تناول القهوة، ليغدو مجالاً اجتماعياً يعكس طبيعة النخبة ومواقفهم من الآخرين **ويظهر هذا في الرواية : "على شرفة مقهى الصحراء الذي كانت تظله الأشجار الكثيفة المطلة من الحديقة العمومية... أما عموم الناس فكأن المكان محظور عليهم فلا تعثر على أحد منهم ولا من الخدم، ربما لأنهم لا يقدّرون المكان ولا يلتزمون بحدود اللياقة، خاصة في مثل هذه المناسبات حيث يكون كل شيء مباحاً "[1]**؛ هنا يكشف عن البُعد الطبقي للمكان، حيث يتم عزل "عموم الناس" عن فضاء يُفترض أن يكون عاماً، لكنه يتحوّل إلى مجال مغلق على نخبة تعتبر نفسها أرفع من الآخرين وتحتج بذلك على عدم "اللياقة" لدى عامة الناس. هذه النظرة تعكس تمايزاً اجتماعياً واضحاً وتطرح تساؤلات حول حدود الخصوصية في الفضاءات العامة كما: **"يقع مقهى الصحراء، في شارع بيرت، بعد أروقة من الفندق الذي يحمل نفس الاسم باتجاه محطة القطار، يتم ترتيب طاولاته تحت الأشجار المقابلة في الحديقة العامة، مما يجعل المقهى المفضل لرجال الأعمال والفنانين"[2]**؛ وهنا يبرز المقهى كمكان يجمع بين الطابع العملي والجمالي، موقعه الاستراتيجي والقريب من مركز الحركة (الفندق ومحطة القطار)، وترتيب طاولاته في الحديقة العامة يجعلان منه مساحة مفضلة للنخبة المثقفة ورجال الأعمال، مما يعزز مكانته كمركز للنقاشات والنخب الاجتماعية ويمنحه هالة من التميز والرقي.

- **مستشفى لافيجري:** ويمثل في الرواية المستشفى العسكري الذي نقل إليه الجريحان جراء حادثة عربة خذير والذي نجم عنه مقتل الزبون إتيان بانوصي[3].
- **كنيسة سان برينوا:** ورد في الرواية وصف للكنيسة: **"في الطريق باتجاه فندق الصحراء، كانت كنيسة برينوا ساكنة، تبدو تطلّ من خلال الحديقة العمومية متألقة، وكأنّ أجراس الزيت المعطر في مصابيحها الفضية..."[4]**؛ يُظهر هذا المقطع وصفًا تصويريًا جميلًا للكنيسة، حيث جاءت في هيئة ساكنة وهادئة، تطلّ من خلال الحديقة العمومية، مما يربطها بالمكان العام لكنها في الوقت ذاته تحتفظ بهيبتها المتألقة، وكأنّ بها روحًا مقدسة تنبعث من مصابيحها الفضية، مما يُضفي عليها طابعًا روحانيًا استعماريا صامتا، لا يزال حاضرًا رغم تغيّر الزمن

[1]. الرواية، ص 74.
[2]. الرواية، ص 40.
[3]. الرواية، ص 76.
[4]. الرواية، ص 74.

هذا الوصف يدل على أن الكنيسة ما تزال قائمة شامخة وسط المدينة، تشهد بصمت على التغيّرات، وتعكس بقايا الحضور الفرنسي في الفضاء العمراني والثقافي للجزائر.

- **حديقة لاندوا:** وهي الحديقة التي انقلبت فيها عربة خوذير حيث "**...هرول الحصانان بهدوء عندما وصلت العربة إلى حديقة لاندو، واستدار الحصانان فجأة، وتركا الطريق متجهين إلى الحديقة...** "[1]؛ والذي تأسس جراء هذا الحادث موت الزبون بانوصي.
- **سينما غلاصيبي كيرسال:** وهي مكان استعماري تلجأ اليه الشخصيات الاستعمارية ويرد ذلك في الرواية: "**وأخيرا، انتهى الاحتفال بذكرى لباسِي سهرة موسيقية بسينما غلاصيبي كيرسال دُعي إليها السياح الأجانب.. داخل القاعة**"[2]؛ هذا الوصف يقدّم السينما كمكان فاخر، يُنظَّم فيه احتفال موسيقي راقٍ، يحضره شخصيات أجنبية، مما يعكس جانبًا من الحياة الاستعمارية المترفة والمفصولة عن واقع عامة الشعب.
- **حديقة الفندق:** جاء في الرواية وصف لحديقة الفندق حيث يقول: "**في حديقة الفندق المعطرة بالورود كانت الليلة صافية وكأنه وضح النهار**"[3]. وقد... "**ظلت أنظار النزلاء مشدودة إلى نضارة الحديقة الصيفية، وقد ملأت الأضواء جميع أرجائها، كانت النباتات التي حافظت على خضرتها تحميها الأشجار الطويلة وتزيد من كثافة الغلاف الجوي بأنفاسها فتصل إلى الصدور معطرة، وقد أعطت الجسد إحساسا ساحرا ونكهة خاصة**"[4]؛ حيث يظهر لنا أن الحديقة الخلفية للفندق كانت غزيرة النباتات، تنتشر فيها الأشجار الطويلة والنباتات الكثيفة بتناسق مبدع، وتفوح منها روائح الأزهار المعطرة، مما منحها إحساسًا ساحرًا ونكهة خاصة وقد زادتها الأضواء التي ملأت أرجاءها جمالًا وتنظيمًا أخّاذً.
- **فندق أطلنتيك:** وهو فضاء استعماري يتم فيه اجتماع الضباط والمستشارين وأعضاء الشركات الصحراوية حيث: " **كان المقدم فلاترز يقيم كل ليلة عشاء كبيرا يعقبه حفل استقبال كبير في الفندق يحضره ضباط، ومستكشفون، وأعضاء الشركات الصحراوية وكان هناك والمؤسسات الجغرافية، وسلطات محلية**"[5].

---

[1]. الرواية، ص 76.
[2]. الرواية، ص 77.
[3]. الرواية، ص 31.
[4]. الرواية، ص 32.
[5]. الرواية، ص 164.

- **مقهى لاغاسيار وسط المدينة:** عندما قابل خذير تلك الأرستقراطية الروسية في ذلك اليوم في مقهى لاغلاسيار وسط المدينة [1].

الرواية لم تقدّم هذه الشخصيات والمواقع الاستعمارية بطريقة محايدة، بل جاءت هذه العناصر محمّلة بدلالات سلبية تكشف آليات **القهر الرمزي والمعرفي والجغرافي، والتشويه الثقافي** الذي مارسه الاستعمار على الذات الجزائرية، وعلى إيزابيل ذاتها بوصفها امرأة تحاول التحرر من هذه المنظومة.

الراوي يستخدم هذه العناصر لإبراز التوتر بين الخطاب الاستعماري (المهيمن) والخطاب المضاد (الرافض)، مما يجعل الرواية ساحة لصراع سردي بين خطابين: خطاب السيطرة وخطاب المقاومة.

## رابعا: الخطاب المضاد

إذا كان الخطاب الاستعماري في الرواية يعكس هيمنة السلطة الفرنسية وتغلغلها في الجغرافيا والوعي فإن **الخطاب المضاد** يأتي بوصفه ردًا سرديًا وروحيًا يعيد الاعتبار للذات المحلية، ويؤسس لسردية موازية تقاوم الهيمنة وتُعلي من شأن الثقافة الأصلية، في *إيزابيل* لسليم بتقة، لا يقتصر هذا الخطاب على الموقف السياسي فحسب، بل يتجلّى في أصوات الشخصيات الجزائرية والمعالم الروحية والتاريخية المرتبطة بالتصوف والمجتمع التقليدي.

كما يمثل الخطاب المضاد في الرواية امتدادًا للمقاومة الرمزية والثقافية التي مارستها الشخصيات الجزائرية، سواء في بعدها الروحي أو الشعبي، في وجه الخطاب الكولونيالي الذي يحاول تطويع المكان والإنسان ضمن رؤية استعمارية أوروبية. يظهر هذا الخطاب من خلال شخصيات محلية وأماكن صوفية وشعبية، تجذّر الانتماء الوطني والديني، وتستعيد للذات الجزائرية حضورها أمام الطمس الاستعماري.

### 1. الشخصيات الجزائرية المقاومة

- **سليمان هني:** هو شخصية محورية في الرواية، يبرز بدوره كمرشد ودليل بطولي في الصحراء يتميز بالحكمة والوفاء والقدرة على التعامل مع قسوة الطبيعة. يظهر تعلقه الكبير بالبطلة وحرصه على سلامتها ويتجلى ذلك في قوله: "**كنت في انتظارك بفارغ الصبر...**"[2]؛ كما أنه

[1]. الرواية، ص 119.
[2]. الرواية، ص 168.

كان يعرف دروب الصحراء جيداً ويمثل مفتاح النجاة فيها، ويرشد إيزابيل قائلا: "**إذا أردت الاستمرار في رحلتك عبر الصحراء فعليك بالقادرية...**"[1]؛ فلقد كان سليمان شخصاً يُعتمد عليه، حيث دعم البطلة نفسياً ومادياً في رحلتها، وكان وجوده يمنحها الأمان في وجه المجهول.

- **الشيخ عبد الرحمان:** وهو شخصية دينية، عرفانية "**من نواحي قسنطينة**"، رافق إيزابيل في القطار، وهو رمز للمعرفة الصوفية المتجذّرة في المجتمع الجزائري، ويمثل السلطة الروحية التي تُقابل السلطة العسكرية الاستعمارية رجل هادئ ومثقف، معروف بمكانته واحترام الناس له، يتميز بتواضعه ومعرفته بعدة لغات، مما يعكس هيبته وثقافته الواسعة[2].
- **المرابط الهاشمي:** يمثل الطابع الديني والتقليدي العريق، ويحضر كامتداد للصوفية الجزائرية المقاومة عبر الروح لا السلام، ينظر اليه كعنصر يشكل خطرا على استقرار السلطات الاستعمارية حيث تتضمن التقارير الموجهة حوله دعوة لمراقبته عن كثب بسبب مواقفه وتحركاته التي قد تؤثر على الوضع العام في المنطقة[3].
- **لالة زينب:** تمثل المرأة الجزائرية القوية ذات الحضور الديني والقيادي داخل الزاوية، وهي مرابطة معروفة بمكانتها الروحية، كما تعد الوجه المضاد لصورة المرأة المستلبة في الخيال الاستعمار[4].
- **الشيخ سيدي إبراهيم:** هو أحد رموز الزوايا، حضوره في الرواية كان عندما طلب العقيد ليوتي من ايزابيل أن تستشير الشيخ عبد الرحمان حول ملاحقة الشيخ بوعمامة فوق أراضيه ويظهر ذلك في قوله:" **أن تذهبي إلى الحدود المغربية، إلى زاوية القنادسة، أريدك أن تتحدثي إلى الشيخ سيدي إبراهيم**"[5]؛ لأنه يحظى بمكانة روحية كبيرة ويمكن ان يساعدها في التقرب من الشيخ بوعمامة وفهم حقيقة المقاومة.
- **خوذير:** هو شخصية تعمل في عربات الخيل (الكاريتا) التي تنقل السياح إلى النُزُل في المدينة القديمة، كما يظهر كشخص بسيط من الطبقة الشعبية، يمارس عمله بإخلاص يوميًا، ويمثّل جزءًا من النسيج الاجتماعي لمدينة استعمارية. هو صورة من صور الإنسان المهمّش الذي

---

[1]. الرواية، ص 170.
[2]. الرواية، ص 88- 89.
[3]. الرواية، ص 168.
[4]. الرواية، ص 193.
[5]. الرواية، ص 246- 251.

يعيش على أطراف المشهد، يراقب العالم من موقع خفيّ، لكنّه في ذات الوقت واعٍ لما يحدث حوله. نرى ذلك في قوله: "**يعرف خوذير من اللغات الفرنسية والإنجليزية جمل اللعنة والاعتذار**"[1]؛ مما يدل على احتكاكه بالغرباء وفهمه النسبي للعالم الخارجي، رغم أميّته الظاهرة أو محدودية تعليمه، خوذير لا ينتمي إلى طبقة المثقفين أو المقررين لمصير المجتمع، بل هو مرآة للواقع اليومي المعيش، يعكس الحياة كما هي: السياحة، والفقر، والحنين، والألم. وفي عودته اليومية إلى البيت، يُظهِر الكاتب جانبًا إنسانيًا حميمًا من حياته حين يصف مشهد المرأة التي تنظر من النافذة وتحرك قدميها باستمرار، في دلالة على الانتظار، وربما علاقة خفية أو رمزية بينه وبينها، مما يضيف إلى شخصيته بعدًا إنسانيًا شعريًا، وبالتالي فإن خوذير هو شخصية ترمز إلى الطبقة الكادحة التي تعيش على هامش المجتمع الاستعماري، لكنها ليست غافلة أو منطفئة، بل هي تراقب وتتفاعل بطريقتها الخاصة وتحتفظ بكينونتها رغم كل شيء.

- **والدة خوذير:** والدة خوذير شخصية تتميز بالحنان العميق والحكمة في التعامل مع المحن. هي أم تتحمل الألم بصمت، وتخفي معاناتها خلف ابتسامة دافئة وكلمات مطمئنة لابنها، حرصًا منها على تربيته في جو من الأمان رغم قسوة الظروف. تتحدث معه بلطف ووعي، محاولة أن تزرع فيه القيم والكرامة دون أن تسمح للكراهية أو الحقد أن يتسللا إلى قلبه. قوتها لا تظهر في كلماتها فقط، بل في قدرتها على الصبر والثبات، فهي تمثل صورة الأم التي تقف شامخة في وجه الحياة، تحمي صغيرها بكل ما تملك من حب ودفء[2].

أيضًا صبرها وكيف كانت تتصرّف بهدوء رغم الألم الداخلي اللي تعانيه، وهذا يدل على قوتها وصبرها .كل هذه التفاصيل تدل على أنها أم حنونة، صبورة، وعندها وعي وحكمة كبيرة في التعامل مع ابنها والموقف كامل[3].

- **أحمد:** هو شخصية مسلمة يظهر في الرواية كمرشد للسيد محمود في قوله: "**انه من دواعي سروري ان أكون مرشدك سيد محمود**"[4]؛ ويتكرر ظهوره كموجه ناصح لمحمود في عدة مواضع ما يجعله شخصية محورية تؤثر على الاحداث كما انه يدفع البطل نحو اكتشاف ذاته ومعنى الوجود.

---

1. الرواية، ص 23.
2. الرواية، ص 56.
3. الرواية، ص57.
4. الرواية، ص 65.

- **الحاج أبو القاسم:** هو شيخ مسن يتمتع بهيبة روحية ومكانة خاصة بين الناس، يمثل الجانب الصوفي والحكيم في الرواية، إذ يظهر دائم التأمل والسكينة، ويُستشار في أمور الحياة بتقدير كبير، مما يعكس رمزية الإنسان المرتبط بالروح والتقاليد العميقة **يظهر في:** " **الحاج أبو القاسم وهو كبير القوم الرحلات التي قام بها في الصحراء والمغامرات التي خاضها"**[1].
- **إسماعيل بودربة:** هو شخصية مثقفة وواسعة الاطلاع، يتميّز بسعة معرفته وثقافته الواسعة وهو ما يتجلى من خلال مكتبته الغنية التي تحتوي على كتب نادرة وقيمة. كما أن حديثه كان دائمًا مدعومًا بأفكار عميقة وتحاليل دقيقة في مجالات متعددة كعلم الاجتماع، الأنثروبولوجيا والاستكشافات، ما جعل من حوله ينصتون إليه باهتمام ويأخذون كلامه على محمل الجد[2].

## 2. فضاء الخطاب المضاد

- **زاوية الهامل ببوسعادة:** زاوية الهامل في الرواية هي فضاء صوفي نسوي محلي، يتصف بالبساطة والطهر الروحي، وتُقدَّم كرمز للتحوّل الداخلي والخروج من الروتين والفراغ الحضاري الغربي نحو تجربة إنسانية وروحية عميقة .تشكّل الزاوية في هذا السياق نموذجًا لمكان غير استعماري، مرتبط بالذاكرة الشعبية والدين المحلي، حيث تلتقي فيه الشخصيات ويظهر في الرواية حين: "**شعرت إيزابيل بروح المغامرة من جديد تدب في كامل كيانها، تريد كسر الروتين الخامل للحياة المنغلقة في سوف، وبدء حياة اخرى تحت سماء مختلفة، هذه المرة كانت الوجهة زاوية الهامل ببوسعادة عند المرأة الابرز المرابطة لالة زينب"**[3].
- **الزاوية القادرية:** وهي من الزوايا التي لها امتداد تاريخي وديني كبير في الجزائر، وتعتبر مفتاح الصحراء حضرت في الرواية كرمز للثبات الروحي، وتُعبّر عن الذات الجزائرية في بعدها الديني الأصيل، تتجه ايزابيل الى هذه الزاوية من اجل اعلان الإسلام وذلك بطلب من سليمان هني: "**ستكون وجهتي الزاوية القادرية لمشاركة إخواني الحدث"**[4]؛ ذلك من أجل أن تبدأ تجربة روحية جديدة في حياتها.
- **مقهى باب الضرب:** مقهى باب الضرب هو مكان بسيط يختزل روح الصحراء وهدوءَها، حيث يبدو الزمن فيه وكأنه يتوقف، فتذوب تفاصيل الحياة اليومية في سكونه، سقفه المنخفض

[1]. الرواية، ص137.
[2]. الرواية، ص 262- 263.
[3]. الرواية، ص 190.
[4]. الرواية، ص 204.

ومرزامه ذو الفتحات الأربع يحاكي انفتاح الصحراء واتساعها أما زبائنه فيحملون ملامح التأمل والرضا. ففي: "**مقهى باب الضرب الذي أصرّ خضير أن يأخذني إليه... مرزام من أربع فتحات يحكي صاحبه من خلاله مثل الصحراء... تسللت في البداية إلى غبش أنابينه... لكن سرعان ما أدركت بعد زيارات له أن المكان يسمح للوقت أن يتلاشى وللأحلام أن تصبح حقيقي**" [1]؛ تتحول الأحلام إلى احتمالات حقيقية، ويغدو الحديث هامسًا كأنه خارج من قلب الرمال، إنه مأوى للمتعبين وفسحة للغرباء، يفتح ذراعيه لكل من يبحث عن لحظة صفاء في عالم مكتظّ بالضجيج.

- **مكان عين الصحراء:** قدَّم مدينة عين الصفراء في الرواية كمدينة مزدوجة، تجمع بين الطابع العتيق المحافظ على عادات الأجداد، والطابع الأوروبي المفروض من طرف الاستعمار الفرنسي، الذي جعل منها "مختبرًا للحداثة" من خلال فصل طبوغرافي واجتماعي واضح. هذا الانقسام يعكس صراع الهوية بين الماضي الأصيل والحاضر المفروض. وتُصوَّر المدينة أحيانًا مظلمة وغامضة، وأحيانًا مشرقة وجميلة، ما يعبّر عن تناقضها وجمالها في آن واح.[2]
- **زاوية القنادسة:** تقع في الحدود المغربية وتمثل مركزا دينيا وصوفيا يمثل الحكمة، ومكان يحتكم إليه في الازمات النفسية والفكرية [3].

الخطاب المضاد في رواية إيزابيل لا يتخذ شكل المواجهة المباشرة، بل يتجلى في **التشبث بالهوية الصوفية، والانتماء المحلي، والروح الجزائرية التي تصر على البقاء في ظل طوفان الهيمنة الفرنسية. هذا الخطاب، وإن بدا هادئًا، فإنه عميق ومؤسس، ويعيد تشكيل الذات الوطنية في الرواية من خلال** حضور الشخصيات الروحية، والأماكن العميقة الانتماء.

[1]. الرواية، ص 130.
[2]. الرواية، ص221.
[3]. الرواية، ص246.

## خلاصة الفصل

في هذا الفصل من رواية إيزابيل لسليم بتقة، يبرز الخطاب المضاد كقوة مركزية تفضح وتمحو آثار الخطاب الاستعماري الذي ظل مسيطراً على سرد التاريخ والشخصيات حيث تستعرض الرواية شخصية إيزابيل التاريخية من زاويتين: الأولى هي الشخصية الاستعمارية التقليدية التي تمثل وجهة الاستعمار، والثانية هي النسخة الروائية التي تضفي عليها سمات إنسانية ونضالية متخيلة، تعكس تداخلات الهوية بين الذاكرة والواقع.

يركز الفصل على مواجهة الخطاب الاستعماري من خلال سرد يومي بسيط ومليء بالتفاصيل الرمزية التي تعكس حياة الجزائريين وأصالتهم، مثل الطقوس الاجتماعية، الروائح والأمكنة التي تحمل دلالات عميقة على المقاومة والتمسك بالهوية. وهكذا، تتحول الرواية إلى فضاء للاعتراف بالذات التاريخية والثقافية المقهورة وتشكل بذلك خطابًا مضادًا ينهض على رمزية المكان والذاكرة لتحدي التمثيلات الاستعمارية.

# خاتمة

## خاتمة:

توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1-تتصف شخصية إيزابيل إيبرهارت بالتعقيد والإثارة، حيث جمعت بين الترحال والكتابة الحرة كما تحدت المعايير الاجتماعية والجنسية، فشكلت نموذجا أدبيا للتفاعل الثقافي بين الشرق والغرب.

2-تعد إيزابيل إيبرهات شخصية استثنائية جسدت التمرد على جميع المعايير، من خلال العيش تحت ظلم الاستعمار داخل المجتمع الجزائري، فتجاوزت الكاتبة الرحلة لتصبح ناقدة الاستعمار معبرة عن اغترابها الثقافي وهويتها المركبة، فأعادت رسم صورة المرأة المثقفة، الحرة.

3-يقدم الخطاب الجزائري قراءة متباينة لشخصية إيزابيل: البعض يحتفي بانتمائها للجزائر والبعض الآخر يشكك في هويتها ونواياها وموقعها من الاستعمار، فلم تكن مجرد موضوع تاريخي بل أصبحت وسيلة لطرح تساؤلات الهوية والانتماء وكيف يكون الموقف اتجاه الغربيين.

4-تعتبر رواية إيزابيل لسليم بتقة عملا أدبيا يدمج بين التاريخ والتخييل، فالكاتب لا يقدم شخصية إيزابيل كما وردت في المصادر التاريخية فقط، بل بعيد تشكيلها من خلال الخيال لإضفاء بعد انساني ونفسي على الشخصية مع التركيز على دوافعها ورغباتها الداخلية.

5- يشكل الخطاب الاستعماري خلفية قوية تحرك السرد وتوضح طبيعة العلاقة بين المستعمر والمستعمر، فيستخدم هذا النوع من الخطاب شخصيات واماكن رمزية تعطي بنية السلطة الاستعمارية وتسلك الضوء على تأثيرها النفسي والثقافية على الفرد الجزائري.

6-يتجلى الخطاب المضاد في هذه الرواية في تمثيل إيزابيل ضمن ثنائيات متقابلة تعطي صراعا داخليا وخارجيا: تنتمي إيزابيل الى الغرب المستعمر لكنها تنحاز إلى الشرق المستعمر، اختيارها لزي الرجال وتحد السلطة الذكورية ....

7- يكشف الخطاب المضاد عن زيف وتناقضات الخطاب الاستعماري ويقدم رؤية بديلة عن المقاومة، فسمحو آثار الخطاب الاستعماري من خلال استعادة التاريخ من وجهة نظرة المستعمَر بعيدا عن الصور النمطية التي فرضها الاستعمار.

8-يتجلى الخطاب المضاد في رواية إيزابيل بشكل غير مباشرة من خلال التمسك بالهوية الصوفية الجزائرية المحلية، فيعكس هذا الخطاب مقاومة ثقافية عميقة تستند الى الانتماء الروحية والوطنية، فيبرز من خلال الشخصيات والاماكن المرتبطة بالذاكرة المحلية للتأكيد على عمق ارتباط الرواية بالأرض والثقافة الجزائرية.

# الملاحق

## الملحق الأول: السيرة الذاتية لإيزابيل إيبرهارت.

- ✓في 17 فبراير 1877 ولدت إيزابيل إيبرهارت بن مدينة جنيف **(حي لغروط) سويسرا**.
- ✓في أبريل 1871 استقرت **ناطالي دورتي** شرلوط أم إيزابيل في جنيف بعد مغادرتها لمدينة **سانتا بتيرسبورج** رفقة المربي الروسي ألكسندر تروفمسكي وأبنائها الأربعة القى، نيكولا، ناطاليه، فلادمير.
- ✓في 11 ديسمبر 1871 ولد الابن الخامس بجنيف اسمه اوقاستان.
- ✓في 23 أبريل 1873 توفي زوج ناطالي الجنرال **بفال كرلوفتش دوموردر** في موسكو.
- ✓أكتوبر 1895 أول كتابات في المجلات الفرنسية.
- ✓في 1896 دراسات استدراكية في جامعة جنيف لتعليم الإسعاف الطبي أثناء هذه السنة انتقلت إلى باريس واتصلت بالمواطن المصري المعروف **أبو نضارة** (جيمس سنوي).
- ✓في 1897 بدأت في كتابة رواية بعنوان " **الانحراف**" والتي تعتبر الجزء الأول من رواية **ثريموردار**.
- ✓في نهاية مايو 1897 تغادر جنيف على متن باخرة وتنزل إلى عنابة رفقة أمها نطالي.
- ✓في نفس السنة تلتقي مع علي عبد الوهاب الموثقف التونسي .
- ✓27 نوفمبر 1897 وفاة نطالى بسكتة قلبية حيث دفنت بمقبرة المسلمين بعنابة.
- ✓نزلت إيزابيل إيبرهاردت إلى جنيف مع المربي ألكسندر تروفمسكي واستقرت لمدة عام ونصف، وفي عمرها 20 سنة نشرت قصة في جريدة "لا نوفال روفي موردن" تحت عنوان "رؤية المغرب".
- ✓في يوليو 1898 مشروع زواج مع رجيب باي رجل دبلوماسي تركي والمسمى ارشافير ثم نشرت في جريدة " لنوفال ارجيريان"، "العولمة".
- ✓في 15 مايو 1899 وفاة المربي ألكسندر تروفمسكي في ميران بجنيف بمرض سرطان الحلق وفي تلك السنة اوقيستان يسرح من التجنيد ويقيم في مرسيليا .

- ✓في يونيو 1899 إقامة في المغرب العربي: تونس، الصحراء الكبرى، والساحل التونسي.
- ✓من 14 يوليو إلى 17 أغسطس 1899 إقامة في الصحراء، واكتشاف مدينة وادي سوف.
- ✓في 02 سبتمبر 1899 رجوع إلى تونس – السفر إلى الساحل التونسي.
- ✓من نوفمبر إلى ديسمبر 1899 إقامة في مرسيليا ثم باريس ثم مرسيليا.
- ✓في يناير 1900 رحلة إلى سردينيا (إيطاليا) نشرت أول رواية " راخيل "
- ✓من فبراير إلى ماي 1900 كانت تسافر بين جنيف وباريس لعدة مرات.
- ✓علاقة بالمغامرة والشاعرة " ليدية بشكوف" اتصلت بـ " المركيز دوموراس" لأجل البحث عن زوجها الذي قتل في الصحراء الكبرى .
- ✓من 23 يوليو إلى أغسطس 1900 الإقامة في المغرب العربي من ضمنها 07 أشهر في "الوادي" في قصر "قمار" الذي يبعد كيلومترات قليلة عن الوادي بدأت في التعلم والتدرب على الطريقة القادرية.
- ✓تعرفت على العريف اسباحي سليمان هني وتزوجته حسب الشريعة الإسلامية في الزاوية القادرية " بوادي سوف ."
- ✓تعرفت على الشيخ الكبير سيدي الهاشمي بن إبراهيم مقدم الزاوية " اميش" بقمار.
- ✓في يناير 1901 انتقل سليمان هني مع فيلقه إلى مدينة باتنة.
- ✓في 29 يناير 1902 تعرضت لحادث أليم وعنيف في منطقة البهيمة قرب الوادي من طرف شاب يدعى عبد الله بن محمد.
- ✓في 18 يونيو 1901 حكمت المحكمة على عبد الله بالأشغال الشاقة وعلى إيزابيل بالنفي كشخص غريب ذي جنسية روسية .
- ✓رجعت إلى مرسيليا ونزلت عند أخيها " أوقيستان."
- ✓في أواخر السنة قضت بعض الأيام في جنيف.
- ✓في يوليو صدور قصص في "جريدة لنوفال".
- ✓في 24 أغسطس 1901 انتقل سليمان هني مع الفيلق العسكري إلى مرسيليا.

- ✓في 17 أكتوبر 1901 ولأجل الدخول إلى الجزائر تزوجت سليمان هني حسب القانون الفرنسي وهذا لنيل الجنسية الفرنسية والسماح لها بالدخول إلى الجزائر ثم أحيل زوجها سليمان هني على التقاعد.
- ✓في 15 يناير 1902 قضت عدة أيام في عنابة عند عائلة زوجها سليمان هني .من مارس إلى يونيو 1902 إقامة في الجزائر العاصمة شارع "لامارين " ثم في شارع "السودان" بالقصبة.
- ✓وأثناء وجودها بالعاصمة تعرفت على فيكتور بريكند مؤلف ومدير جريدة الأخبار وتعاقدت معه لأجل نشر مقالاتها كصحفية.
- ✓من 28 يونيو إلى 04 يوليو 1902 أول رحلة لها من مدينة بوسعادة ثم زيارة "لالة زينب" في زاوية الهامل.
- ✓الإقامة في مدينة تنس، عين سليمان هني كخوجة: سكريتار ومترجم في "بيرو عراب ."
- ✓الذهاب والإياب بين تنس والجزائر العاصمة وصدور أول مقال في "جريدة الأخبار."
- ✓يناير 1903 العودة إلى مدينة تنس والإقامة بزاوية الهامل ولقائها –الثاني مع "لالة زينب"
- ✓أبريل 1903 وأثناء زيارة الرئيس الفرنسي إلى الجزائر العاصمة –" اميل لوبي" إيزبيل كانت ضمن كوكبة من الصحفيين أثناء مأدبة عشاء لكن ظهرت بلباس الفارس العربي لفتت الأنظار وأدخلت الدهشة في أوساط المخابرات والنواب الفرنسيين وعلى إثر هذا نشرت العديد من الصحف الجزائرية والفرنسية مقالات تؤكد على أنها ضد السياسة الفرنسية في الجزائر.
- ✓في شهر مايو ويونيو 1903 حملة شرسة ضدها، حول سياسة الانتخابات لشرفاء بمدينة تنس لأنها كانت تحرض على الحرب ضد المعمرين. ثم صدور أمر من السلطات المغادرة مدينة " تنس" ثم الإقامة بالعاصمة الجزائرية.
- ✓أبريل 1903، استقال سليمان هني من منصبه بسبب ضغوطات المعمرين والتحق بزوجته في الجزائر العاصمة .
- ✓في أواخر أغسطس 1903 فيكتور بريكند طلب منها الانتقال إلى الجنوب الغربي الجزائري لتتحقق عن أحداث المنقار وتاغيت وأحداث قمع قصر صفيصيفة (مقاومة الشيخ بوعمامة).

- ✓في بداية سبتمبر 1903 وصلت إلى مدينة العين الصفراء عن طريق القطار تحت اسم مستعار " سي "محمود" ثم وصلت إلى زاوية سيدي بوتخيل بالقصر العتيق ثم التقت بمجموعة من الصحفيين ومن بينهم الصحفي المشهور "جون رودرس" الجريدة "لومتان" الفرنسية ثم لقاءات مع الجنرال " ليوتي" واستجوابات مع جرحى من جنود "القبعات البيض " بمستشفى العين الصفراء.
- ✓في بداية شهر أكتوبر 1903 التقت بالجنرال ليوتي بمدينة بني ونيف بعد زيارتها إلى زاوية سيدي سليمان بوسماحة.
- ✓من 20 يناير وإلى نهاية شهر مارس 1903 رحلة رفقة فيكتور بريكند إلى مدينة العين الصفراء وبني ونيف وفقيق (المغرب الأقصى) ثم الرجوع إلى مدينة وجدة المغربية عن طريق القطار.
- ✓في ماي 1904 اتصلت بالحركة المعارضة للسياسة الفرنسية لأجل التحقيق حول القمع من طرف الجيش الفرنسي في المنطقة وبالأخص ضد البدو الرحل.
- ✓في زيارة ثانية إلى قصر فيقيق المغرب الأقصى) التقت بن لمنور الملقب بسيدي أحمد ابن عم وصهر الشيخ بوعمامة وقائد جيش المقاومة في المنطقة الحدودية. عادت إلى عين الصفراء.
- ✓في 26 مايو إلى نهاية يوليو 1904 إقامة بالزاوية الزيانية بالقنادسة للتأمل والكتابة والدعاء.
- ✓من شهر أغسطس إلى نهاية سبتمبر 1904، التقت مع الشيخ بوعمامة في قصر فندي وذلك لاتمام المخطوطات "مذكرة طريق" و "صفحات الإسلام."
- ✓في بداية شهر أكتوبر 1904 دخلت المستشفى بالعين الصفراء بمرض "الملاريا" الذي أصابها أثناء الإقامة بمدينة "تنس."
- ✓في 21 أكتوبر 1904 توفيت خلال فيضانات وادي العين الصفراء وهي في سن 27 سنة.
- ✓في 27 أكتوبر 1904 دفنت في مقبرة سيدي بوجمعة بالعين الصفراء.
- ✓في 1907 توفي زوجها سليمان هني بسيدي مبروك بقسنطينة.[1]

[1]. بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، منشورات الوطن اليوم، 2021، سطيف العلمة، الجزائر

## الملحق الثاني: السيرة الذاتية لسليم بتقة.

سليم بتقة أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر، مسؤول ميدان التكوين بقسم الآداب واللغة العربية سابقا، عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع بسكرة. عضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، وعضو الاتحاد الدولي للغة العربية، وعضو لجنة قراءة وتحكيم في مجلات علمية محكمة.

كاتب له أعمال في مجالات الرواية والقصة والمسرح. حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الحاج لخضر بباتنة، تخصص أدب جزائري حديث، عمل مسؤولا لشعبة التكوين بقسم الآداب واللغة العربية. درّس بجامعة محمد الصديق بن يحيى بجيجل، والآن يشغل مدرسا بقسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر بسكرة.

له أكثر من أربعين منشورا في مجلات محكمة وغير محكمة، وله مؤلفات مطبوعة بدور نشر وطنية ودولية وهي:

**أولا: الدراسات الأكاديمية:**

1. الريف في الرواية الجزائرية، دار للنشر والتوزيع، دار السبيل، الجزائر، 2010.
2. أوراق بحثية في النقد والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو 2014.
3. ترييف السرد الروائي الجزائري، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2014.
4. البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، 2014.

**ثانيا: الأعمال الإبداعية:**

1. جذور وأجنحة (رواية)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة 2014.
2. التيرانسوروس الأخير (مسرحية من ثلاثة فصول)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة 2016.
3. بؤس بلاد القبائل لألبير كامي (كتاب مترجم)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر 2016.

4.أحلام تحت درجة الصفر (مجموعة قصصية) دار الجائزة للطباعة والنشر، القبة، الجزائر 2017.

5.كونفينيس (مجموعة قصصية)، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر 2020.

6.وقع الأحذية المتعبة (مسرحية من خمسة فصول)، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر 2020.

7.قداس الكاردينال رواية تاريخية الحائزة على جائزة أول نوفمبر التي ترعاها وزارة المجاهدين 2021.

وجائزة دار خيال للرواية 2022، دار خيال للنشر والطباعة والترجمة برج بوعريريج، دار علي بن زيد للطباعة والنشر بسكرة، 2023، ودار غراب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2024.

8.إيزابيل (رواية)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، 2024.

شارك في العديد من الملتقيات داخل الوطن وخارجه. أشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه، كما ناقش عديد الرسائل في الماستر والماجستير والدكتوراه. أنجز العديد من الخبرات لملفات الترقية، وتحكيم الكثير من المطبوعات البيداغوجية لزملاء العمل. عضو الهيئة الاستشارية لعدد من المجلات الجامعية. عضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي..

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع:

## القرآن الكريم، ورش عن نافع

### المصادر:

**1.** سليم بتقة: رواية إيزابيل، دار علي بن زيد، ط1، 2024.

### المراجع:

**العربية:**

1. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مركز الدراسات، المركز الثقافي اللبناني بيروت، د ط، م12.
2. مهيبل عمر: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2005.
3. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مركز الدراسات، المركز الثقافي اللبناني بيروت، د ط، م8.
4. أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.
5. بلعرج بوداود: الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهات، لقاء أم مصير، منشورات الوطن اليوم، سطيف، العلمة، الجزائر، 2021.
6. خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.
7. الزواوي بغورة: بعد الحداثة والتنوير، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت ط1، 2009.
8. سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2016.
9. الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2007.
10. عبد الوهاب بوشليحة: النص وآفاق التآويل، دار المدى، ط2، الجزائر، 2019.

11. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، جدرا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.

**المترجمة:**

1- إيزابيل إيبرهارت، ياسمينة وقصص أخرى: ترجمة حسن دواس، مراجعة ليلى عثمان فضل المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب 2012م، ط1، الكويت ،1990.

2- سعيد، إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

3- شيلي واليا: إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ترجمة: أحمد خريس وناصر أبو الهيجاء، أزمنة عمان الدوحة، ط (1)، 2007.

4- ميشال فوكو: كلمات والأشياء، فريق ترجمة: مطاع الصفدى، مركز الإنماء القومي، لبنان بيروت.

5- ميشال فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 2007، د ط.

6- ميلز سارة: الخطاب، تر: غريب إسكندر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 64.1989-1990.

**المجلات:**

1- عبد القادر عميش: " فانتازيا التاريخي والحكي الصوفي في رواية سكوت... العارفة إيزابيل تتحدث"، مجلة اللسانيات العربية وآدابها، م2، العدد3، 28 افريل 2021.

2- نادية محمود عبد الله: الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندريه جيد، عالم الفكر، المجلد الثالث عشر، العدد 4، 1جانفي 1983، م13.

3- وردة معلم: محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، كلية الأدب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2016.

**المقالات:**

## قائمة المصادر والمراجع


1. سياسور- ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة – تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية- موسوعة أعلام فلسفة سياسية – 2024-متاح على رابط ميشيل فوكو: بين السلطة والمعرفة – تحليل فلسفي لتطور المفاهيم الاجتماعية والسياسية – سياسور، تم الاطلاع عليها يوم 15-02-2025- على ساعة 10:35.

**المعاجم والقواميس:**

1. محمد بن مكرم بن علي بن منظور: لسان العرب، م 5، دار صادر، بيروت، ط4 2005.

**المواقع الالكترونية:**

1-Alnahhabi Ali، 2023، الكلمات والأشياء: القطائع المعرفية عند ميشيل فوكو: تقديم: علي النهابي، https://youtu.be/0ciBgUDb2kk?si=UnbqIOG15BBevv4O-

2-أحمد القديدي: ثقافة الإمبريالية وثقافة المقاومة في كتاب إدوارد سعيد، متاح على موقع : https://arabi21.com/story/1411499/ثقافة-الإمبريالية-وثقافة-المقاومة-في-كتاب-إدوارد-سعيد – 17جانفي 2024.

3-واسيني الأعرج، "إيزابيل إيبرهارت: رحّالة فوق كل الشبهات"، القدس العربي، 3 مارس 2020، تاريخ الأطلاع: 22 افريل 2025 الرابط: https://www.alquds.co.uk/إيزابيل-إيبرهارت-رحّالة-فوق-كل-الشّبهات/.

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات:

شكر وتقدير .....1
مقدمة .....أ
الفصل الأول: مفاهيم نظرية .....
تمهيد: .....9
أولا: الخطاب المفهوم والمسار .....10
مفهوم الخطاب: .....10
2. الخطاب في القرآن الكريم .....12
ثانيا: الخطاب في اللسانيات.....13
1. المفهوم اللساني للخطاب .....13
2. عناصر العملية التخاطبية عند رومان جاكبسون .....14
ثالثا: الخطاب في النظرية المعرفية .....19
1. الخطاب عند ميشال فوكو:.....19
رابعا: الخطاب في الدراسات ما بعد الكولونيالية .....24
1. الخطاب عند ادوارد سعيد .....24
2. تلقي مفهوم الخطاب في كتاب الاستشراق:.....28
3. مفهوم الخطاب عند ميشال فوكو .....29
خلاصة الفصل: .....35
الفصل الثاني: إيزابيل بين الخطاب الاستعماري والخطاب المضاد في رواية سليم بتقة .....أ
أولا: إيزابيل إيبرهات شخصية تاريخية.....38
ثانيا: شخصية إيزابيل في الأدب الجزائري.....42
1. واسيني الأعرج .....43
2. عبد القادر عميش – سكوت... العارفة إيزابيل تتحدث. .....44
3. سعيد خطيبي – أربعون عامًا في انتظار إيزابيل .....45
4.إيتيان دينيه(Émile Dinet) .....47

## فهرس المحتويات

5. أوجين دولاكروا(Eugène Delacroix) ..... 47
6. أندريه جيد(André Gide) ..... 48
ثالثا: تخييل إيزابيل في رواية "إيزابيل لسليم بتقة" ..... 49
1. إيزابيل المتخيلة ..... 51
2. الفرق بين إيزابيل التاريخية وإيزابيل المتخيل: ..... 53
ثالثا: الخطاب الاستعماري ..... 54
1. الشخصيات الاستعمارية: ..... 54
2. الفضاء الاستعمارية ..... 62
رابعا: الخطاب المضاد ..... 67
1. الشخصيات الجزائرية المقاومة ..... 67
2. فضاء الخطاب المضاد ..... 70
خلاصة الفصل ..... 72
خاتمة: ..... 74
الملحق الأول: السيرة الذاتية لإيزابيل إيبرهارت ..... 77
الملحق الثاني: السيرة الذاتية لسليم بتقة. ..... 81
قائمة المصادر والمراجع: ..... 84
فهرس المحتويات: ..... 88

## ملخص الدراسة

تحاول هذه المذكرة الاشتغال على رواية إيزابيل لسليم بتقة، الذي أعاد تخييل هذه الشخصية التاريخية المثيرة، حيث توظف الذاكرة والخيال الروائي لتشكيل خطاب مزدوج أحدهما يعدل الفكر الاستعماري من خلال شخصية "إيزابيل" والآخر ينبع من تفاصيل الحياة اليومية للجزائريين، لتعكس مقاومة صامتة تعبر عن صراع داخلي يعيد للجزائري صوته وهويته.

## :Abstract

This memorandum tries to work on the novel Isabel by Selim Batka, who reimagined this interesting historical character, where it uses memory and narrative fiction to build a double speech: one that modifies colonial thought through the character of Isabel, and the other comes from the daily life details of Algerian people, to reflect a silent resistance that expresses an inner conflict, which gives back their voice and identity.